العلاقات العمانية اليمنية في ظل الوجود البرتغالي في المنطقة العربية

(١٠٢٨-١٠٨٧هـ/ ١٦١٨- ١٦٧٦م)

دكتورة

منى بنت محمد فهد الغيث

أستاذ مشارك - تخصص تاريخ حديث ومعاصر

قسم التاريخ كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

الملخص

العلاقات العمانية اليمنية في ظل الوجود البرتغالي في المنطقة العربية(١٠٢٨-١٠٨٧هـ/ ١٦١٨- ١٦٧٦م)

اعتمدت اليمن على التجارة والزراعة والثروات المعدنية في اقتصادها، وكانت تصدر العطور العربية اليمنية والبخور والمر والذهب والحديد وأخشاب الزينة والبن اليمني المشهور عالميًا كسلعة تجارية بحرًا و برًا إلى عمان وأوروبا، وإلى شرق آسيا كالهند والصين

كذلك كونت عمان علاقات تجارية قوية ومزدهرة في كل من اليمن والعراق وبلاد فارس والبحرين، حيث كان العمانيون ينقلون السلع والمنتجات من هذه المناطق وإليها، ولم يكتفوا بذلك بل أصبحوا تجارًا ووسطاءَ بين تجار المناطق الأخرى. بفضل موقع عمان الجغرافي الأكثر ملاءمة للملاحة والتجارة المتبادلة بين الدول.

وقد اشتهرت عمان بإنتاج وتصدير عدد من السلع، مثل المنسوجات والتمور والنحاس واللبان، إلى جانب السلع التي كانت تمر عبر الموانئ العمانية، وبذلك تعددت الصادرات والواردات بين عمان واليمن، وهذا دلالة على ازدهار التجارة والمكانة الاقتصادية العمانية في ذلك الوقت.

وقد سمى بعض المؤرخين القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي بالعصر الذهبي للتجارة والملاحة في منطقة الخليج العربي وبحر العرب.

إلا أن الصراع العماني البرتغالي في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية أثر سلباً في العلاقات بين العمانيين والقوى الإقليمية، وخاصة اليمن، فقد كان من الطبيعي أن تتأثر تلك التجارة نتيجة الهجوم العماني على البرتغاليين قبالة السواحل اليمنية، فتأثرت سلبًا تلك الأرباح التي تجنيها حكومة اليمن من تلك التجارة. وأدى أيضاً إلى إحجام بعض التجار عن التعامل التجاري مع الموانئ اليمنية، على اعتبار أنها تشكل خطرًا عليهم وعلى تجارتهم.

وقد استمرت السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ذات أهمية بالغة للخليج العربي، لأن السفن العربية والإسلامية، وخاصة العسكرية، لا تستطيع الإبحار إلى الخليج العربي أو منه دون المرور بها. فكانت هذه السواحل والموانئ دائمًا ضمن العلاقات بين اليمن والخليج العربي وخاصة عمان.

إن السياسة المتوازنة التي انتهجها الإمام سلطان بن سيف الأول في العلاقات مع كلّ من إنجلترا وهولندا قد آتت ثمارها في إضعاف الوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي.

Abstract

The relationship between Oman and Yemen during the period 1662-1669 AD and their impact on Arabian Area.

Yemen relied on trade, agriculture and mineral wealth in the economy. The issue of Yemen Arab perfumes and incense, myrrh, gold, iron, wood decorations and the world-famous Yemeni coffee as a commercial commodity by sea and by land to Oman, Europe, and the Middle Asian regions such as India and China

Oman formed a strong and prosperous business relationship in all of Yemen, Iraq, Persia and Bahrain, where he was Omanis Wheelers of goods and products to and from these areas was not content with that, but they became intermediaries between dealers and traders other regions. All thanks to the most convenient for navigation and mutual trade between the geographical locations of Oman countries. Oman was famous for the production and export of a number of commodities such as textiles, dates, copper and frankincense, along with goods that were passing through Omani ports, so there were many exports and imports between Oman and Yemen, and this is a sign of booming trade and economic status of Oman at the time. Some historians atheist century AH / seventh century AD has called golden age of trade and navigation in the Arabian Gulf and the Arabian Sea area. Omani Portuguese conflict in the southern coast of the Arabian Peninsula negative impact on the relations between the Omani and local powers, particularly Yemen.

Omani relations of Yemen tense continued them because of the Omani Portuguese clash off the Yemeni coast, bringing Yemen lost its importance trade, it was natural that the trade affected by the Omani attack on the Portuguese off the Yemeni coast, which negatively impact on the profits earned by the Yemen government of that trade. It has also led to the reluctance of some traders from doing business with the Yemeni ports. Because they pose a threat to them and to their trade. South Coast has continued the Arabian Peninsula is of paramount importance to the Arab Gulf, because the Arab and Islamic ships, especially the military may not sailing to and from the Persian Gulf without passing out. So the southern shores of the Arabian Peninsula has always continued in the relations between Yemen and the Arabian Gulf and Oman in particular. In fact, the

balanced policy pursued by Imam Sultan bin Saif first in relations with both England and the Netherlands have borne fruit in the weakening of the Portuguese presence in the Arabian Gulf and the Indian Ocean.

المقدمة:

تقع اليمن(١) في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب، يحدها جنوبًا بحر العرب، وشمالاً المملكة العربية السعودية، وغربًا البحر الأحمر، وشرقًا عُمان(٢). وتشمل هذه الحدود بلاد اليمن الموحدة التي تعرف بالجمهورية العربية اليمنية، وتتراوح مساحتها ما بين ٦٢- ١٩٥ كيلو مترًا مربعًا واليمن الجنوبي أو الذي أطلقت عليه بريطانيا اسم عدن ومحمياتها، أو ما عرف لفترة طويلة باليمن الجنوبي المحتل من قبل بريطانيا. وقد سُمِّي بعد الاستقلال باسم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. تتراوح مساحة اليمن المحتلة ما بين ٢٩٠ ألف كيلو متر مربع يبدأ من مضيق باب المندب على البحر الأحمر حتى ظفار التابعة لعمان(٣).

وأهم المدن فيها عدن والحديدة والمخا، وهذه أشهر الموانئ اليمنية: لحج والمنصورة وزبيد في الداخل، وهي تنتج النخيل والقطن والتبغ والحبوب.

يتميز سطح شمال اليمن بأنه منطقة جبلية مرتفعة يحدها سهل ساحلي ضيق في الغرب، يعرف بسهل تهامة اليمن، ويمتاز مناخ هذا القسم من اليمن بأنه بارد في الشتاء، ومعتدل في أيام الصيف. أما السهل فمناخه حار رطب صيفًا، دافئ في وقت الشتاء. وتسقط الأمطار على هذا الجزء من اليمن في فصل الصيف بسبب هبوب الرياح الموسمية الغربية. أما الجبال والسهول الشرقية فتهطل الأمطار فيها بغزارة في

(١) انظر الملحق رقم (٤): خريطة اليمن.

(٢) انظر الملحق رقم (٥): خريطة عَمان.

(٣) محسن أحمد العيني، معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، ط١، دار الشروق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٢٥؛ حسين علي الويسي، اليمن الكبرى، كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٦٢م، ص٢٠.

فصل الصيف، ويوجد فيها أنهار كثيرة مثل مور ورزان وغيرها، تنتج محصولات البحر المتوسط، وأهم مدنها: صنعاء، وعمران، وصعدة، وذمار، وتعز، وشبوة. وحضرموت هي جزء من العربية السعيدة سطحها جبلي أيضًا، وأهم مدنها: الشحر، شبام، المكلا. وأما الربع الخالي فهو صحراء مكوّنة من كثبان رملية(٤).

أما سطح جنوب اليمن فهو سهل ساحلي يحاذي بحر العرب، ويمتد من الغرب إلى الشرق، بالإضافة إلى المرتفعات في شمالي السهول الساحلية. والمرتفعات الغربية أكثر ارتفاعًا من المرتفعات الشرقية، التي هي في أغلبها هضاب تتخللها أودية، أكبرها وأهمها وادي حضرموت، وتمتد حتى عمان. وهناك صحَارَى في داخل جنوب اليمن تلي المرتفعات شمالاً. ومناخ الجزء الجنوبي من اليمن شديد الحرارة ورطب في الصيف، ودافئ في الشتاء، تهب عليها الرياح الموسمية الغربية التي تسبب سقوط الأمطار(٥).

كما أن المحيط الهندي كان له منفذان لمرور التجارة وسلعه عبر العصور التاريخية، ويتمثل ذلك في الخليج العربي وبابه عمان، والبحر الأحمر وبابه اليمن. وبسبب عوامل طبيعية لم يتمكن البحر الأحمر من احتلال مركز الصدارة في حمل تجارة المحيط الهندي إلى مناطق البحر المتوسط، واستمر الخليج العربي يقوم بالدور المهم والأساسي في تجارة المحيط الهندي، وظلت الحركة التجارية مرتبطة بالساحل العربي، وهو الساحل الغربي للخليج، وكانت السواحل العمانية تشكل جانباً مهمًا على تلك السواحل(٦).

---

(٤) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)،كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (ب. ت)، ص٤٤؛ عبدالله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٤١.

(٥) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٣٧، ٤٢، ٤٥.

(٦) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٩١.

يذكر المقدسي أهمية كلّ من عمان واليمن فيقول: "من أراد التجارة فعليه بعدن، أو عمان، أو مصر". كما يتحدث الجغرافيون العرب عن الإنتاج الزراعي لعمان فيقول الحميري: "وبلاد عمان مستقلة في ذاتها، عامرة بأهلها، وهي كثيرة النخل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب"(٧).ويعمل سكان اليمن بالزراعة التي تكثر في مناطق الأودية. ويعمل قسم منهم في الرعي، خاصة في مناطق سفوح الجبال. وهناك فئة من سكان اليمن تعمل في صيد الأسماك في السواحل، ويعمل اليمنيون بتمليح الأسماك وتجفيفها كي تصدّر إلى الخارج. ويتركز صيد الأسماك في المناطق الساحلية حول البحر الأحمر، والبحر العربي في الجنوب(٨). ومنهم من يعمل في التجارة، فاليمنيون قوم مشهورون بالتجارة منذ القدم، خاصة الحضارمة منهم.

النّظام الاقتصادي:

قامت الحياة الاقتصاديّة لليمن على التجارة والزراعة، حيث مثّلت التجارة الدولية العمود الأوّل في الاقتصاد. وكانت العطور العربية اليمنية التي اشتهرت في أنحاء العالم تصدّر بحرًا أو برًا لجميع دول العالم. تاجر اليمنيون بالبخور وأخشاب الزينة التي تصدّرها تلك المناطق للشّمال. كما أنّ اليمن بلد صالح جدًا للزراعة بأنواعها، فزرع اليمنيون أشجار الفواكه بأنواعها في الجبال والمناطق المرتفعة، كالبرتقال والليمون والخوخ والمشمش والموز والتفاح والكمثرى والتين والعنب وغيرها. وتزرع في سهوله وعلى ضفاف أوديته الحبوب من قمح وشعير ودخن وذرة وعدس. بالإضافة

(٧) محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليديان، ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م، ص٣٥.

(٨) محمد متولي، حوض الخليج العربي، ج٢، ط٣، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٤١.

إلى زراعة الخضراوات والبن والقطن، ويكثر فيه الملح بكمية هائلة[٩]. ويدلّ بناء السدود والبرك وقنوات الرّي واستغلال الينابيع في الجبال والسّهول وإقامة المدرّجات الزراعية على الشّعاب والسفوح الجبلية على مقدار التقدّم الزراعي في اليمن وعلى تحضرها[١٠].

كما ينتج اليمن البن المشهور عالميًا كسلعة تجارية. فقد اهتم سكان اليمن بزراعته في المنحدرات اليمنية. ويصدرونه عن طريق ميناء المخا، على ساحل البحر الأحمر. بدأ بيع البن اليمني لأول مرة عام ١٦٦١م،ويصدر إلى إيطاليا وفرنسا وهولندا وبريطانيا، وإلى مناطق الشرق الآسيوي كالهند والصين، ولذا فقد زاد الطلب عليه واشتدت المنافسة من أجله بين الشركات البريطانية والفرنسية والهولندية في القرن السابع عشر الميلادي[١١]، وقد أنشأت هولندا مصنعاً للبن في المخا عام ١٧٠٨م وبدؤوا في تصديره، حتى اشتهرت بأنها مركز تصدير البن اليمني.

وفي اليمن ثروة معدنية هائلة، ففيه معادن كثيرة، كالذهب والحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح والفحم الحجري والنفط. كما قامت في اليمن كثير من الصناعات الحرفية كصناعة الأدوات والآلات التي تحتاج إليها الزراعة كي تنمو وتتطور. في كلٍّ من اليمن وعمان[١٢]. وشملت الصناعات الصناعة الحجرية والجلدية

(٩) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٣٢ – ٦٥؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، دراسة جغرافية، تاريخية، سياسية شاملة، ط٢، مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٤.

(١٠) محسن العيني، معارك ومؤامرات، ص٢٧٩.

(١١) محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ١٩٣٧م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص٩.

(١٢) محسن العيني، معارك ومؤامرات، ص٢٧.

والدباغة والعطور والأصباغ والحرف الخشبية والفخارية والأواني الزجاجية والمواد الغذائية وبناء السفن. وكان للثروة الحيوانية نصيبها في تعزيز الصناعات الحرفية، إذ قدمت جلودها وأصوافها ووبرها وألبانها موادَّ خام لذلك(١٣).

وانتشرت كذلك صناعة الحلي والمجوهرات من الذهب والجواهر الثمينة الأخرى، ونشطت مع ازدياد الطلب عليها من وجهاء القبائل والأثرياء والتجار. فقد وجد الذهب في أرجاء كثيرة من اليمن، بينها مأرب وذمار وصعدة واعتبر ذهب صعدة من أفضل المعادن(١٤). أما الفضة فهي من المعادن المعروفة في اليمن، وتوجد بالقرب من صنعاء. وأيضاً وجدت تجارة المعادن: كالحديد والذهب والفضة والنحاس والرصاص والزمرد والعقيق والصلصال والأحجار القابلة للنحت كالمرمر والرخام، في أماكن كثيرة من اليمن.

أدى ذلك كله إلى بروز حركة تجارية نشطة بين اليمن وعمان، فكانت العماد الأساس في تنشيط الأسواق المحلية والموسمية وما تيسر بيعه إلى البلدان الأخرى من الذهب والفضة والحديد.

كما وجدت في اليمن أيضاً كثير من المصانع المختلفة التي تلبي ما تحتاجه إليه البلد في حينه، مثل مصانع لصناعة الأحذية والحقائب والمستلزمات الجلدية الأخرى، ومصانع للصابون ومشتقاته. كما كانت تصنع الأدوات المنزلية بأشكالها المختلفة(١٥).

(١٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٨– ٩١ –٩٢؛ محمد الحبشي، اليمن الجنوبي، ص٣٨٩.

(١٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٨– ٩١ –٩٢؛ العيني، بدر الدين، العلاقات بين العرب والصين، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١٤– ١٥؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص١٥٠؛ أحمد شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٢٤.

(١٥) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٤٩.

كما راجت تجارة الأقمشة والثياب اليمنية في أسواق عمان، وأصبحت هذه التجارة متبادلة بين البلدين، لا سيما البرُد الذي عرفت عدن بصناعتها ضمن الملابس الفاخرة. كما كانت تصنع الثياب البسيطة والخشنة وذات الكلفة المتواضعة. واشتهرت اليمن بالعطور العربية المركبة، من البخور واللبان الذي يستخرج من جنوب الجزيرة العربية، أي من ظفار وحضرموت، كما يستخرج أجود أنواع اللبان عالميًا من أشجار اللبان من عمان، ويعرف هذا اللبان باسم اللبان العماني، يليه بالجودة اللبان اليمني(١٦). وقد عرفت اليمن بالأحجار الكريمة، وأشهر الأحجار التي تستخرج من اليمن: العقيق اليماني، والزمرد، والزفير، والياقوت. وقد اشتهر العرب بتجارة الأحجار الكريمة حتى دعا الصينيون الأحجار الكريمة بـ"أحجار العرب يقصد بها اليمن"(١٧).

وأشهر أنواع هذا الأحجار الكريمة هو العقيق اليماني، الذي يضيف الرونق الجمالي على المصنوعات الذهبية والفضية عندما تطعم به، وله مزايا كثيرة واستخدامات مختلفة وخصائص فنية يتمتع بها، وألوان جميلة وأحجام نادرة، وصور وأشكال ورسومات متعددة. وهو أكثر رواجًا من غيره من المنتجات والمعروضات اليدوية التي شاركت بها اليمن في عدد من دول العالم. ومن أهم أنواع العقيق اليماني الزمرد الذي يعتبر الأعلى سعراً من بين الأحجار الكريمة، فإن أحجار الزُّمُرُّد نادرة

(١٦) المسعودي أبو الحسن بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، دار الفكر، ط٥، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٥٠؛ مجموعة باحثين، الموسوعة اليمنية، ط٢، إصدار مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣-٢٠٠٥ م، ص ١٥٦٣-١٥٦٩؛ التاجر سليمان، سلسلة التواريخ، طبع بدار الطباعة السلطانية، طبع باريس، ١٨١١م، ص ١٨٢؛ محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٩-٤٠.

(١٧) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت أواخر القرن الثالث الهجري)، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غوية، ليدن، ١٨٨٥م، ص٢٥١؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص١٥٠- ١٥١.

جدًا، وإذا وُجدت تكون أغلى من الماس، والزُّمُرُّد الأزرق أغلى من الزُّمُرَّد الأصفر. أما إنتاج العقيق فهو محصور في صنعاء القديمة وحدها دون غيرها من المدن اليمنية الأخرى، ويكثر تجاره في موانئ اليمن(١٨).

كما أنتجت اليمن البهارات، والكمون، والكركم، والزنجبيل، والهيل، والدارصين، والأصباغ، والنيلة، والزعفران، وورق الجوز، وزهري الفوة، والحناء، وأخشاب الأبنوس، والساج(١٩).

ومن أعلام الربابنة أسد البحر، وابن ماجد، معلم البحر: سليمان المهري النوخذة، كما زار الرحّالة ابن بطوطة ميناء عدن في القرن الحادي عشر الميلادي، وقال إن أهالي عدن الميسورين كانوا يمتلكون بعض المراكب العظيمة الراسية في الميناء، التي تدر عليهم أرباحاً طائلة.

وزار المستكشف الإيطالي ماركوبولو ميناء عدن، وتحدث عن زيارة أسطول صيني إلى عدن لشراء البضائع النفيسة فقد اشتروا جواهر كبيرة الحجم، وجميع أنواع الياقوت وغيرها من الأحجار النادرة واللؤلؤ الكبير، وبعض جذوع من شجر وعدة صناديق من شعاب المرجان. ونستخلص من ذلك أنّ سوق أو أسواق عدن كانت محطة تتجمع

(١٨) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٣٦؛ التاجر سليمان، سلسلة التواريخ،ص١٤٧؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص١٥٠- ١٥١؛ تاريخ اليمن الإسلامي موقع من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:http://ar.wikipedia.

(١٩) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٢٦٣-٢٧١.

فيها السلع القادمة من عمان شرق أفريقيا ومصر والشرق الآسيوي. وكما هو معروف فإن عدن أيضاً تقع على طريق البخور البري، واشتهرت بالبخور واللبان(٢٠).

أهم الموانئ والمدن اليمنية:

أدى العامل الجغرافي دورًا فاعلاً في نمو بعض المدن في التجارة البحرية، مثل مدينة عدن التي تميزت بموقع إستراتيجي مهم، أعطاها مكانة تجارية عبر فترات التاريخ المختلفة، فقد كانت حلقة الواصل بين تجارة عمان والمحيط الهندي وبين تجارة البحر الأحمر والبحر المتوسط، وقد مثلت دور الوسيط التجاري المؤثر والفاعل وفي نقل الحضارات والثقافات بين البلدان. ساعدها على هذا الدور التجاري بعض العوامل السياسية والاقتصادية في ذلك الوقت قبل مجيء البرتغاليين فكانت محور ارتكاز نشط لحركة النشاط التجاري آنذاك(٢١). وأدت الحركة التجارية في عدن إلى تفعيل تجارتها وتنشيطها وتأثيرها في الاقتصاد اليمني في ذلك الوقت.

لذلك ظهرت أهمية عدن وميناؤها الذي يحتل موقعاً حساسًا في طريق التجارة بين الشرق والغرب، وقد وصف الأوربيون عدنَ بأنها مدينة عظيمة، وأن فيها تجاراً من جميع الأجناس، ومنها تمكنوا من الوصول إلى الهند والعودة إليها.

وتكمن أهمية عدن في أنها تسيطر على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، مضيق باب المندب وخليج عدن المرتبط أيضاً بالمحيط الهندي وغيره من البحار والمحيطات والأقاليم والقارات، ويعتبر من أشهر الموانئ اليمنية والعربية، إذ تحيط به الجبال،

(٢٠) ماركوبولو: ولدفي البندقية ١٢٥٤هـ، والده تاجر إيطالي صحبه إلى بلاط قوبلاي خان ملك التتار. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٩٦.

(٢١) سامية محمد عبدالله الغسيل، نشاطها التجاري والحياة الاجتماعية لتجارها في الفترة ٧-٥هـ / ١١-١٣م، بحث تكميلي لمتطلبات نيل ماجستير العلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٦م، ص١-٢.

الأمر الذي يساعد البواخر والسفن على الرسو في موانئها، وأسهمت عدن أيضًا إسهامًا كبيرًا في بناء الحضارة اليمنية عبر مراحل تاريخ اليمن كله.

وعرفت عدن أيضاً بصناعة الطيب، فكان يقصدها التجار من بلاد عمان والهند وفارس للحصول على الطيب، وأشهره دهن العنبر والمسك، حيث يصنِّعون أنواعًا فاخرة منه ثم يصدرونها إلى الخارج(٢٢). أدى ذلك إلى بروز حركة تجارية في الأسواق المحلية والموسمية والخارجية.

وكانت السفن العمانية تبحر إلى ميناء عدن، ومن ثم تصل إلى الهند والصين وسيلان وقاليقوط وفارس وعمان والبحرين والحبشة، ثم تلتقي في عدن، وأيضاً تخرج السفن العمانية من ميناء الشحر في طريقها إلى عدن تحمل معها التوابل حتى تصل إلى البحر الأحمر وهو المركز الرئيس لتجارة عمان واليمن والهند.

وتقع مدينة عدن في الجهة الجنوبية الغربية لليمن ولشبه الجزيرة العربية، وهذا الموقع جعلها تطل على بحر عدن وهو ما يسمى بالبحر العربي أو بحر اليمن، ويتصل بالمحيط الهندي وهو يتصل بعدة بحار. منها بحر الصين والهند والزنج واليمن والحبشة وفارس وعمان(٢٣).

أما الجهة الشرقية فتتصل بالسند وفارس، وبلاد عمان ومن أهم موانئها مسقط وصحار وقلهات، وهي تطل على مدخل الخليج العربي الموصل إلى فارس والعراق والبحرين وهرمز وسيراف والبصرة، ومنها إلى بغداد(٢٤).

---

(٢٢) وزارة الإعلام بسلطنة عُمَان، عُمَان في التاريخ، دار إميل للنشر، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣٢٥؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص ٤٨.

(٢٣) محمد عبده السروري، أهمية موقع عدن في النشاط التجاري البحري الدولي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، (ب.ت)، ص٣٧٥؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٣٥.

(٢٤) محمد السروري، أهمية موقع عدن، ص٣٧٥.

أما الجهة الجنوبية الغربية من عمان فتتصل بعدن وبموانئ وبلدان الشرق وأفريقيا، مثل مقديشو وكلوه ومدغشقر وسفالة.

وهذا الموقع الممتاز لمدينة عدن جعلها حلقة وصل تجاري بين موانئ الشرق والغرب، وجعلها أحد المراكز التجارية الدولية آنذاك.

مما سبق يتضح أن ميناء عدن كان محطة تجارية لأغلب السلع والبضائع التي تمر بمينائها، ويعتبر من أهم المراكز التجارية التي يتم فيها البيع والشراء لمختلف أنواع السلع والبضائع، لأنها تقع في ملتقى طرق التجارة البحرية الدولية(٢٥).

ويعتبر ميناء عدن مصدر دخل مهم جدًّا لحكام اليمن، حيث يحصل حكام اليمن منه على أموال طائلة جداً من ميناء عدن، ووصف بأنه أهم موانئ اليمن وأهم خزائنها المالية. بقولهم: "وهي أعظم المراسي باليمن وهي خزانة مالية ملوك اليمن"(٢٦).

وكانت ميناء عدن وموانئ عمان تراعي هبوب الرياح في ذلك الوقت الصالحة للسفر البحري، وتراعي الوقت الذي يستغرقه هبوب الرياح، فقد ذكر المسعودي: "ولكل من يركب هذا البحر من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابّها قد علم ذلك قولاً وعملاً، ولهم دلائل وعلامات يعلمون بها في هيجانه وأحوال ركوده"(٢٧).

(٢٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٤؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٢٥.

(٢٦) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م م)، نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العالمية، بيروت، ص٥؛ عُمَان في التاريخ، ص٣٧٩.

(٢٧) المسعودي، مروج الذهب، ص١١٢؛ أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩م، ص٤٨.

وكانت الرياح الموسمية الجنوبية هي المناسبة للخروج المراكب التجارية من اليمن وعمان إلى الهند والصين وأثناء العودة إلى عدن ومسقط[٢٨] تكون الرياح الموسمية الشمالية الشرقية قد بدأت بالهبوب بدءًا من شهر أكتوبر إلى مارس. لتجلب معها كثيرًا من السلع التجارية من تلك المناطق.

العلاقات التجارية بين عدن وعمان وتبادل السلع بينهما:

كان لميناء عدن علاقة تجارية مع صحار ومسقط وهرمز وكيش وسيراف البحرين والبصرة. وقد وصف الإدريسي ميناء صحار بأنه من أقدم الموانئ العمانية التي لها علاقات تجارية مع اليمن بقوله: "ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم وإليها تجلب جميع بضائع اليمن[٢٩]"،حيث كان تجار عمان يسافرون من عمان إلى عدن بحراً أو براً. وعرف ميناء مسقط بالتجارة الواسعة مع عدن واليمن.

يذكر المقدسي أن أهم السلع التجارية التي كانت تصدر من عدن إلى عمان بقوله: "اليمن معدن العصائب والعقيق والأدمي والرقيق، فإلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك، والزعفران، والبقم، والساج، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، والبواقيت، والأبنوس، والنارجيل، والقند، والأسكندروس، والصبر، والحديد، والرصاص، والخيزران، والغضا، والصندل، والبلور، والفلفل، وغيرها. وتزيد عدن بالعنبر، والشروب، والدرق، والحبشي، والخدم، وجلود النمور"[٣٠]. وهذا يوضح أهمية العلاقات التجارية بين عمان وعدن.

كذلك فإن مينائي الحديدة والمخاعلى ساحل البحر الأحمر باليمن كانا مهمين جداً

(٢٨) عبدالله الحبشي، الرحالة اليمنيون، ص٢٢٦-٢٣٢؛ عُمَان في التاريخ، ص٨٩.

(٢٩) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م،ص١٥٦-١٥٧.

(٣٠) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٨، ٩١-٩٣.

للتجارة مع عُمان، حيث إن السفن العمانية القادمة من موانئ البحر الأحمر تمر على مخا الواقعة على مدخل باب المندب قبل ذهابها إلى ميناء عدن، فيحمل في سفنها البن اليماني، ثم يتجه إلى مسقط، وتعيد تصدير البن مرة أخرى إلى المناطق العثمانية والمناطق المجاورة. كذلك كانت السفن تبحر من ميناء مسقط مع بداية الرياح التجارية الموسمية الشمالية الشرقية متجهة إلى زنجبار، وتواصل إبحارها بمحاذاة الساحل حتى مدغشقر. وكانت الرحلة من مسقط إلى السواحل الإفريقية تستغرق حوالي من ثلاثة إلى أربعة أسابيع حسب قرب الميناء وبعده، ثم تذهب إلى اليمن، وكانت السفن عندما تعود إلى مسقط بعد هذه الرحلة الطويلة تعيد تصدير السلع التي جلبتها من اليمن والسواحل الإفريقية إلى العراق(٣١).

كما كانت السفن تخرج أيضًا من ميناء صور، فتبدأ الرحلة مع الرياح الشمالية فتسلك طريقًا إلى مرباط على الجانب الشرقي من ظفار بسلطنة عمان ثم إلى اليمن، ثم تأخذ خط سير مباشراً باتجاه جزيرة سقطرة اليمنية شرق خليج عدن في البحر العربي، ومنها تسلك السفن خط سير محاذيًا للبر الصومالي، حيث تقوم بعملية التبادل التجاري في الموانئ الصومالية، ثم تواصل إبحارها حتى موانئ ماليندي وممباسا، ثم باتجاه زنجبار المركز الرئيس لتجارة إفريقيا الشرقية. ثم تعود السفن مرة أخرى في شهر إبريل مع الرياح الجنوبية، وتصدر السفن العمانية المنتجات اليمنية إلى الدول المجاورة(٣٢).

كان ميناء المَخا يتبع ملك ظفار. وقد كان البن أهم سلعة يمنية تصدر إلى الخارج عبره، إضافة إلى الصبر، والبخور، وأعواد الأراك، كما تصدر كميات كبيرة من الزبيب. بلغت مدينة المَخا كمركز تجاري في (القرن السابع عشر الميلادي) في أوج

(٣١) محسن العيني، معارك ومؤامرات، ص ٢٧؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص١٠٤؛ عُمَان في التاريخ، ص ٣١٧- ٣١٨.

(٣٢) المسعودي، مروج الذهب، ص ١٤٧؛ عُمَان في التاريخ، ص٨٩.

ازدهارها، ويقول المؤرخ الواسعي: "وباسم المَخا يسمي الإفرنج أفخر البن عندهم" أي (وتعني بن المَخا)(٣٣).

وأيضاً تقع مدينة الحديدة على ساحل البحر الأحمر وهي مركز تجاري مهم. ومن أهم المحاصيل الزراعية الخضروات والفواكه والأعلاف، فضلاً عن نشاط الاصطياد السمكي. وأهم المعادن الموجودة فيها هي: الجرانيت، والرمال السوداء، والأصباغ، والسيراميك، والملح الصخري، والجبس، وبعض المعادن الطينية الأخرى.

والشحر من أهم المدن التاريخية في ساحل حضرموت، وكانت السلع التجارية الرائجة فيها: اللبان والمُر والصبر والعنبر، إلاَّ أنها اشتهرت كثيراً باللبان الذكر الذي ينسب إليها (اللبان الشحري)(٣٤).

التجارة بين عمان والدولة العثمانية:

تعددت الصادرات التي كانت السفن العمانية تنقلها إلى مناطق الدولة العثمانية، إلا أن أشهر تلك الصادرات كان البن اليمني، حيث يستورد العمانيون البن ثم يعيدون تصديره، إلى الدولة العثمانية، ويجلب البن من سقطرة إضافة إلى الصبر السقطري، واللبان، والبخور(٣٥).

وقد استورد العمانيون من أنحاء الدولة العثمانية كثيرًا من المنتجات فقد كانت أساطيلهم تجلب التمور من العراق ثم تعيد تصديرها من جديد إلى اليمن وموانئ البحر الأحمر وشرق إفريقيا.

---

(٣٣) محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية، دار النهضة العربية، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٢١٦؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص١٠٦؛ عُمَان في التاريخ، ص ٣١٧– ٣١٨؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٣.

(٣٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٧؛ عُمَان في التاريخ، ص ٣١٧– ٣١٨.

(٣٥) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٥.

ويمكن القول إن جميع السلع التجارية كانت تتبادل بين مدن عمان واليمن وغيرها من المدن العربية التابعة للدولة العثمانية، كالبصرة واليمن والحجاز والبحرين، التي اشتهرت بالتجارة والتبادل التجاري. في حقب متعددة، وأما صحار وظفار وصور وقلهات ومسقط فتعدّ من المدن العمانية التجارية التي اشتهرت بنقل اللبان والبخور من ظفار إلى الدول الأخرى واليمن وأفريقيا والصين والدول التي تقع على البحر المتوسط، كما ارتبطت ظفار بأسواق اليمن مثل سوق الشحر المجاور لها وحضرموت، وغيرها من الأسواق مثل سوق صحار(٣٦).

لقد كان اتجاه اليعاربة، الذين حكموا عمان خلال الفترة (١٠٣٣-١١٥٣هـ/ ١٦٢٤-١٧٤١م)، ناحية البحر ضرورة إستراتيجية بحكم موقع عمان الممتاز جغرافيًّا على الخريطة. فقد احتلت موقعًا جغرافيًّا ممتازًا على الخريطة الدولية في ذلك الوقت، في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، مطلة على الخليج العربي، وخليج عمان، والبحر العربي، فضلاً عن إشرافها على مضيق هرمز الممر المائي المهم الذي يربط خليج عمان بالخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي(٣٧)، وكان اسم عمان يطلق على المنطقة الممتدة من قطر حتى منطقة ظفار المجاورة لحضرموت في عهد اليعاربة، وقد كانت منطقة ظفار محط نزاع بين اليعاربة والدولة القاسمية في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، الذي تمخض عنه ضم هذا الإقليم إلى عمان، ووقعت اتفاقية بين الطرفين ورسمت الحدود بين البلدين. وعمان محاطة بسلسلة من الجبال، تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب، بينما تحد أطرافها الجنوبية الغربية، صحراء الربع الخالي التي تعد من أكبر صحارى العالم،

(٣٦) عبدالله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص ٣٥؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٥.

(٣٧) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٢؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ٢٢٨م)، معجم البلدان، ج ٤، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠م، ص ٨٠٢؛ عبدالله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٤٢؛ عُمَان في التاريخ، ص١٥.

لتفرض عليها عزلة عن بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية. إن سعة إقليم عمان والتباين في تضاريسه، قد أدى إلى انقسام عمان إلى عمان الداخل وعمان الساحل، ولا يمكن الاتصال بين أجزائهما، إلا من خلال الأودية والمسالك التي تخترق جبال عمان. ولكن يمكن القول بأن عمان الساحل كانت أكثر تأثراً بالمؤثرات القادمة الخارجية، أما عمان الداخل فكانت أكثر تأثراً بالمؤثرات القادمة من شبه الجزيرة العربية(٣٨). وكذلك تتحكم عمان بسلسلة من الجبال تسمى جبال الحجر، وتنقسم إلى سلسلتين، هما الحجر الغربي والحجر الشرقي، حيث يفصل بينهما وادي سمائل الذي يعد نقطة الاتصال بين الساحل والداخل، وكذلك أسهمت سلسلة جبال مسندم في تشكيل سطح عمان، وهي شديدة التضاريس والجبل الأخضر وجبال ظفار، ومن أهم السهول في عمان سهل الباطنة وهو من أخصب الأراضي الزراعية وسهل صلالة الذي يتميز بطقس معتدل(٣٩).

ويمكن القول إن الطابع البحري الجبلي الذي تفصله عن شبه الجزيرة العربية صحراء الربع الخالي فقد ألقى هذا الموقع الجغرافي أهمية خاصة على ذلك الإقليم الذي يحتل مركزاً متميزًا للطرق الموصلة إلى الهند والبحر الأحمر اليمن وشرق إفريقية، وقد أتاح هذا الموقع للعمانيين أن يقوموا بدور نشطٍ في تجارة الشرق منذ القدم، وكانت موانئ عمان بالإضافة إلى ذلك بمثابة مراكز لتموين السفن، إضافة إلى ذلك فإن عمان بموقعها على مدخل الخليج العربي أصبحت المتحكمة بمضيق هرمز

(٣٨) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٣؛ عبدالله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٤٣-٤٤؛ محمد متولي ومحمود أبو العُلاَ: جغرافية الخليج العربي وخليج عُمان ودول شرق الجزيرة العربية، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٥٣.

(٣٩) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٤٥؛ عبدالله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٤٥-٤٧؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٢.

الإستراتيجي كما تم ذكر ذلك وكما أصبحت أيضًا بحكم موقعها الجغرافي حلقة وصل بين المشرق العربي وبين اليمن والهند عامة والإمارات الإسلامية هناك خاصة.

ولعبت الموانئ العمانية دورًا عالميًّا في مجال التجارة مع موانئ اليمن والبلدان الأخرى، وأصبحت مركزًا تجاريًّا وسوقًا ضخمًا للبضائع المحلية والمستوردة، وموانئ وساهمت في ازدهار التجارة المحلية والإقليمية والدولية(٤٠).

كوّنت عمان مع مدن البحر الأحمر والمحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي علاقات تجارية قوية ومزدهرة في كل من اليمن والعراق وبلاد فارس والبحرين، حيث كان العمانيون ناقلين للسلع والمنتجات من هذه المناطق وإليها، ولم يكتفوا بذلك بل أصبحوا تجارًا ووسطاء بين تجار المناطق الأخرى.

وجمعت عمان بفضل هذا الموقع المتميز بين السهول الساحلية والجبال والأدوية والصحراء، وفي شقها المناخي بين عدة من المناخات الموسمية والمدارية والصحراوية، وأدى ذلك كله إلى تنوع في أقاليمها الجغرافية.

ولقد امتدت عمان على الممرات المائية التي كانت تحيط بها من جميع الجهات، مما جعلها تتجه ناحية البحر، فنبغ العمانيون في ركوبه، واستفادوا من خيراته. أما الساحل العماني فهو شكل من أشكال السواحل العالمية يحتوي على الخلجان والأخوار، والانحناءات، فضلاً عن عمق مياهه وإحاطة معظم شواطئه بسلاسل من الجبال التي تحميه من الرياح والعواصف البحرية القوية(٤١).

وقد اشتهرت عمان بإنتاج عدد من السلع وتصديرها، مثل المنسوجات والتمور والنحاس، إلى جانب السلع التي كانت تمر عبر الموانئ العمانية، مثل التوابل والعاج

(٤٠) حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٢؛ محمود علي الداود، تاريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي، مجلة كلية الآداب، عدد ٥، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٦٠.

(٤١) عبدالله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٤٣؛ حسين الويسي، اليمن الكبرى، ص٢٣.

والأخشاب والرصاص، وكانت التجارة متبادلة بين عمان واليمن والهند وأفريقيا، وهذا دلالة على ازدهار التجارة والمكانة الاقتصادية العمانية في ذلك الوقت.

كل هذه العوامل أدّت إلى تكوين الموانئ التجارية النشطة على امتداد تلك السواحل، ولكل ميناء منها محيطه الحيوي، حيث يحتوي هذا الساحل على كثير من الموانئ التجارية التي تعمل على استقبال التجارة الشرقية آنذاك، مثل (صحار ومسقط ومطرح وقلهات).وقد اشتهرت صحار آنذاك بجوّها المعتدل وأراضيها الخصبة ومزروعاتها الوفيرة، وهي الميناء الرئيس في المنطقة، واكتسبت شهرة بصفتها مركزًا مهمًا للتجارة والصناعة من مختلف البضائع والمنتجات الغذائية وغيرها، وتعتبر مخزناً للسلع الواردة من الهند والصين، وتلتقي السفن التجارية المحملة بسلع الخليج العربي، ومنها أيضاً تموّن السفن ثم تنطلق مرة أخرى إلى اليمن والهند والصين وشرق أفريقيا، وقد ازدهرت فيها التجارة ازدهاراً كبيراً(٤٢).

أما مسقط فهي ميناء تجاري مهم على خليج عمان ومحطة تجارية رئيسة ومركز لتموين السفن، وتتوافر فيها الآبار والمزروعات وخاصة النخيل، كما أنها تصدّر التمر والخيل، وتستقبل السلع المختلفة من جميع الدول(٤٣).

أما قلهات فهي ميناء تجاري أيضاً: على ساحل عمان، ومعظم أهله كانوا يشتغلون بالتجارة، وبالإضافة إلى قلهات هناك أيضاً قريات، وصور، وجلفار، ورأس الخيمة، وغيرها من الموانئ العمانية التي شكلت سلسلة لا تكاد تنقطع، تعج بالتجارة والتجار من اليمن والهند والصين وأفريقيا. وقد حققت الموانئ العمانية قدراً كبيراً من الازدهار

(٤٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٤٥؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٢٩٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٥٦-١٥٧؛ جورج فاضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص١٦٥-١٦٦.

(٤٣) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٥٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٣.

والثراء، وعمل سكانها تجاراً ووسطاء تجاريين، نقلوا تجارة اليمن والهند والصين وأفريقيا إلى الموانئ العمانية، ومن ثم إلى أسواق الشام وفارس ومدن البحر المتوسط، واستمر هذا النشاط التجاري في كلٍّ من عمان واليمن. وبفضل هذه الموانئ تبوأت بلاد عمان مكانة مرموقة في عالم التجارة، وخاصة التجارة البحرية، وأصبحت مضرب المثل في سعة الرزق، ورواج تجارتها حتى قيل: "من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان". وقد سميت عمان في بعض المصادر ببلاد الفضة والنحاس، إشارة إلى وجود هذين المعدنين في عمان واستخدامهما في التجارة، ومنها أيضًا كثير من المعادن؛ لذلك مارس العمانيون الصناعات المعدنية والحديدية والنحاسية، والصناعات الفخارية والخزفية، وصناعة السفن، والصناعات الخشبية، والأثاث والأبواب والنوافذ، وصناعة أدوات الصيد، والصناعات العطرية من اللبان والمر والبخور وماء الورد، وإضافة إلى ذلك كانت عمان تستقبل من اليمن تجارة التوابل، فقد قام العمانيون بدور بارز ومتميز في نقل هذه التجارة إلى مختلف البلدان بأسطولهم التجاري البحري وبمهارتهم بالملاحة(٤٤)، فلهم باع طويل في التجارة البحرية مع اليمن وآسيا وأفريقيا، وقد اشتهرت عمان بصيد الأسماك واللآلئ والزراعة، كزراعة النخيل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب(٤٥)، وكانت تصدر إلى اليمن وعدد من بلدان آسيا وأفريقيا اللبان والصمغ والجلود والخيول والقطن، وأدركت الدول أهمية موقع عمان ومركزها الدولي، وأهميتها التاريخية(٤٦)، لذلك انطلقوا في أنشطة التجارة البحرية، وقد ساعدت طبيعة السواحل العمانية بجانب موقعها، فنشطت حركة تجارية دائبة مع جميع البلدان، إضافة إلى أنها تميزت بعملية النقل التجاري لعدة بلدان، وانعكس ذلك على

(٤٤) المسعودي، مروج الذهب، ص١١٢؛ عُمَان في التاريخ، ص٢٠.

(٤٥) عُمَان في التاريخ، ص٢٠.

(٤٦) محمود الداود، تاريخ السيادة العمانية، ص٢٦٠. محمد الحبشي، اليمن الجنوبي، ص٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٧؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٣٢٨.

حياتها الاقتصادية في ذلك الوقت. ومن ثم نُقلت من ميناء صحار كثيرًا من المنتجات مثل القطن الذي يعاد تصديره إلى اليمن ومناطق البحر الأحمر والبحر المتوسط(٤٧)، حيث كانت السفن العمانية تصدر أيضاً التمور بأنواعها والورد والزعفران والنرجس التي كانت تزرع في الجبل الأخضر في عمان، واللبان الذي لا يزال يزرع في جبال ظفار(٤٨)، ومن أهم صادراتها النحاس الذي يستخرج من وادي الجزي، وتصدر الثياب الصحراوية والحريرية والقطنية والتبغ والخيول وغيرها من المنتجات، فيما كانت عمان تستورد من اليمن الحنطة والشعير والأحجار الكريمة والمنسوجات والصناعات الأخرى من موانئ البحر الأحمر(٤٩).

وأصبح لعمان التفوق البحري في الملاحة البحرية، وتمكنت من السيطرة على خطوط الملاحة والموانئ عبر المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر واليمن، وأدت دوراً أساسيًا في تجارة هذه البحار، وأصبحت قاعدة الخليج العربي التي تتحكم في مدخله من الجهة الجنوبية، وعالم الشرق ممثلاً باليمن والهند والصين وأفريقيا، ومنها إلى الغرب الأوربي من جهة أخرى، وكانت أول دولة قد أقامت علاقات تجارية وثقافية واجتماعية مع تلك البلاد(٥٠)؛ فيذكر المقدسي أن ميناء مسقط: "أول ما يستقبل

(٤٧) محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب،ج١، ط٣، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٨٠؛ محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه، ص٢١٦-٢١٧.

(٤٨) عُمَان في التاريخ، ص٣١٧؛ محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه، ص٢١٦-٢١٧.

(٤٩) المسعودي، مروج الذهب، ص١١٢؛ عُمَان في التاريخ، ص٣١٧-٣١٨؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٧؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٣٢٨.

(٥٠) عُمَان في التاريخ، ص٣٩٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٣؛ عبدالرحمن العاني، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط١، مسقط،١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١٧٨-١٨٠.

المراكب اليمنية، ورأيته موضعاً حسناً"، فهذا يدل على تبادل التجارة بين البلدين. ويبدو أن نشاط عمان التجاري مع اليمن قد وصل إلى أقصى درجة من التقدم والازدهار. وأصبحت مسقط مركزاً لتجارة السلع الواردة من اليمن والهند وشرق أفريقيا، ومن ثم توزعها عمان على البحر الأحمر والخليج العربي، وكان خمسة أثمان تجارة الخليج تأتي عبر ميناء مسقط، لوقوعها على مفترق الطريق التجاري بين البحر الأحمر اليمن والخليج العربي وإلى الهند وأفريقيا(٥١)، وهو ما أعطى عمان دوراً في التواصل التجاري والحضاري والإنساني.

وقد سمى بعض المؤرخين القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي بالعصر الذهبي للتجارة والملاحة في منطقة الخليج العربي وبحر العرب، فتعتبر عمان بوابة الخليج العربي، كما يتميز موقعها بأنه ملاحي وملتقى القارات الآسيوية والأفريقية ومناطق البحر الأحمر والمحيط الهندي. لذلك يمكن القول إن البيئات الجغرافية البحرية والجبلية والصحراوية التي تميز بها سطح عمان كلها اشتركت في المكانة الاقتصادية والتفوق التجاري التي وصلت إليهما.

وأنشأ التجار العمانيون علاقاتٍ تجاريةً مع عدد من المناطق والبلدان، وكانت التجارة المتبادلة هي الأساس في تلك العلاقات.

وقد شكلت التجارة والملاحة البحرية العمانية جسراً للصداقة والتبادل التجاري والثقافي والاقتصادي مع اليمن وغيرها من البلدان؛ وكل ذلك يرجع إلى موقعها الجغرافي الأكثر ملاءمة للملاحة، وتعد الطرق التجارية العمانية أقصر الطرق في ذلك الوقت وأقل كلفة للتجارة بين الشرق والغرب.

ونستنتج من ذلك كله أن العمانيين واليمنين أرسوا القيم الأساسية من خلال معاملاتهم التجارية وعلاقاتهم الإنسانية مع الدول والتي اتسمت بقدر كبير من المرونة

(٥١) محمود الداود، تاريخ السيادة العمانية، ص٢٦٠.

والتسامح والصدق في معاملتهم التجارية، مما ساهم في تقوية المناخ الحضاري المؤثر، وأكسب عمان واليمن سمعة حضارية كبيرة.

العلاقات العمانية اليمنية في ظل الوجود البرتغالي:

في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي اندفع البرتغاليون نحو البحار العربية للتحكم فيها والسيطرة عليها، وكان البحر الأحمر وتجارة المحيط الهندي والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية هدفًا يسعى البرتغاليون لتحقيقه؛ ليتحكموا فيها تجاريًا. وفي عام ٩١٩م/ ١٥١٣م جرت عدة محاولات برتغالية للسيطرة على عدن، ولكنها فشلت(٥٢)، وقد نجحت بالهجوم على مناطق البحر الأحمر والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وأصبحت تلك المناطق مسرحًا للصراع بين العمانيين والبرتغاليين، وأدى ذلك إلى ظهور قوى أوروبية أخرى إنجليزية وهولندية، أخذت تتطلع إلى السيطرة على مناطق البحر الأحمر وسواحل جنوب الجزيرة العربية ومنافسة البرتغاليين تجاريًا هناك(٥٣).

وفي عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م نجح الإنجليز في إقامة وكالة تجارية في ميناء "المخا" اليمني، أما الهولنديون فقد حصلوا على تصريح بإقامة وكالة تجارية في ميناء الشحر، وبدأوا يمارسون النشاط التجاري في تلك المناطق بكل حرية(٥٤). مما جعل البرتغاليين يشعرون بالاستياء من ذلك، حينما وجدوا أن المنافسين لهم من القوى الأوروبية الذين وصلوا إلى تلك المناطق بعدها، قد حصلوا على إقامة وكالات تجارية في تلك

(٥٢) غسان علي الرمّال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ط١، جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص٥٧، ٥٨، ٥٩.

(٥٣) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٩٣-٩٧.

(٥٤)جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، القاهرة، دار الفكر، ط١، ١٩٦٩م، ص ٢٥-٢٦؛ محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه، ص٢١٥.

المناطق. وهم يحاولون الحصول عليها قبلهم منذ زمن بعيد(٥٥)، يعود السبب في ذلك إلى أنهم اتبعوا سياسة الاحتكار التجاري في البلدان العربية والإسلامية. أما الإنجليز والهولنديون فقد أقاموا شركات تجارية يشترك معهم أبناء البلدان في التجارة.

قامت الدولة القاسمية بزعامة المنصور بالله القاسم بن محمد عام ١٠٤٥ – ١٣٨٢هـ/ ١٦٣٥ – ١٩٦٢م، بعد صراع بين العثمانيين واليمنيين، أدى إلى خروج العثمانيين من اليمن عام ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م(٥٦). تميزت هذه الفترة الجديدة بأن الدولة القاسمية سعت إلى إقامة علاقات تجارية واسعة مع الدول الأوروبية، وخاصة بريطانيا وهولندا.

لقد أدرك البرتغاليون ذلك كله، فقد وجدوا أن القوى المحلية لا ترغب في التعامل معهم ولم يحصلوا على أي وكالات أو تسهيلات تجارية في موانئ اليمن. مما جعلهم يتعاملون مع التجار العرب والهنود في نقل بضائعهم. وبدأت القوى الأوروبية بالهجوم على السفن البرتغالية، فأدرك البرتغاليون صعوبة الاعتماد على التجار العرب والهنود(٥٧).

كما أدركوا حجم الخطر الذي يواجه وجودهم في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية، مما أدى إلى تحرك أسطولهم إلى الخليج العربي، الأمر الذي جعلهم عرضة للهجمات العمانية، حتى تمكنوا من طردهم من مسقط، وملاحقتهم في سواحل البحر الأحمر(٥٨).

---

(٥٥) محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه، ص٢١٥.

(٥٦) يوسف فضل حسن، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٢١-١٢٣.

(٥٧) محمود كامل، اليمن شماله وجنوبه، ص٢١٦.

(٥٨) Denvers, F.C,The Portuguese in India, vol. II, (London, 1894) p370.

في عام ١٠٥١هـ /١٦٤١م كانت اليمن تمر بأزمة مالية قوية في عهد المؤيد محمد بن القاسم[٥٩] بسبب ابن أخيه أحمد بن الحسن أخذه أموالاً من بيت المال وهروبه إلى بلاد يافع[٦٠]، إضافة إلى سوء الأوضاع السائدة في اليمن بسبب تأثرها بالهجمات العمانية على البرتغاليين في السواحل التجارية، وفي عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م، توفي المؤيد محمد بن القاسم، وتولى الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد إمامة اليمن عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م[٦١]، وكانت الإمامة الزيدية في اليمن في أوج قوتها، ويعتبر الإمام إسماعيل وإخوانه هم من حاربوا الدولة العثمانية وسعوا في إخراجها من اليمن، كما أراد إسماعيل بن القاسم توسيع ممتلكاته في البلاد[٦٢]، معتمدًا على نشر المذهب الزيدي في المناطق الجديدة، واستطاع السيطرة على المناطق الجنوبية منذ خروج العثمانيين من اليمن، كما سيطر على عدن في عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م[٦٣]، وتعتبر المناطق الجنوبية أخصب مناطق اليمن من حيث

(٥٩) انظر الملحق رقم (٣).

(٦٠) عبدالرحمن صالح حيدرة، تكوين الجنوب العربي وثورة السلطنات ضد حكم الأئمة ١٤٦٦-١٧٣٣م، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٣.

(٦١) هو الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن قاسم بن محمد، من أنشط الأئمة اليمنيين في ذلك الوقت، ويعزا إليه توسيع ممتلكات بلاده. انظر: الملحق وثيقة رقم (٣)؛ الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ص١٤٦.

(٦٢) الوزير، عبدالله بن علي، طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ج١، صنعاء ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م،ص١٨١-١٨٢-١٨٤؛حيدرة، تكوين الجنوب، ص٣٥.

(٦٣) انظر: الملحق وثيقة رقم (٣)؛ حسين عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيي حميد الدين ١٥١٦- ١٩١٨م، ط٢، دار الفكر، دمشق ٢٠٠١م، ص٦٠.

إنتاجها الزراعي وخراجها الكبير، فحاول الإمام زيادة ضريبة الدولة بسبب الأوضاع السائدة في البلاد بفرض ضريبة الإمام، وحق العسكر وغيرها، أي يجب عليهم دفع مبالغ مالية للدولة تفوق ما كان يدفعه اليمنيون في الجهات الأخرى، ويعد الإمام إسماعيل هو أول من وضع هذه الضريبة(٦٤)، بسبب هجوم العمانيين على البرتغاليين في السواحل اليمنية، التي أثرت في تجارتهم ووضعهم الاقتصادي.

وفي الوقت نفسه تمكن الإمام سلطان بن سيف الأول(٦٥)من السيطرة على ظفار(٦٦)عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م لأهميتها التجارية والعسكرية لعمان. وهو ما جعل البرتغاليين يظهرون في تلك المناطق، ووجهوا حملة إلى ميناء "مخا" وتمكنوا من السيطرة عليها وعلى جميع السفن الموجودة فيها بسبب رفض نائبها التعامل مع البرتغاليين تجاريًا وعدم تقديم أي تسهيلات تجارية لهم أسوة بما حصل عليه الهولنديون والإنجليز في تلك المناطق(٦٧)، ثم توجهوا إلى باب المندب، وبدأوا

(٦٤) الوزير، طبق الحلوى، ص١٣٦؛ حيدرة، تكوين الجنوب، ص٣٥ –٣٧.

(٦٥) هو الإمام سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب الحميري الأزدي الأباضي، كان له الفضل في طرد البرتغاليين من بقيّة أجزاء الساحل العماني، ومن تتبعهم في الهند وشرق أفريقيا. ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٩٧٧م، ص ٢٨٤.

(٦٦) تقع ظفار على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية عند الحدود حفر الموت شرقًا تشتهر بإنتاج اللبان والتمور وكانت منطقة نزاع بين العمانيين واليمنيين في القرن السابع عشر الميلادي. حتى تمكن العمانيون من ضم هذا الإقليم. لمزيد من التفاصيل. انظر: سالم حمود شامس السيابي، عمان عبر التاريخ، الجزء الثالث، وزارة التراث والثقافة بعمان، ط٢، مسقط، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م، ص٢٤٠؛ الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، منشورات العصر الحديث، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٣٠.

(٦٧) الوزير، طبق الحلوى، ص ١٨١–١٨٣.

يهاجمون السفن المارة بها، ثم توجهوا إلى حضرموت ونهبوا المدن والسفن فيها[٦٨].

كما بدأ البرتغاليون يكثفون وجودهم في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية عام ١٠٧٨هـ /١٦٦٧م،حتى تمكنوا من السيطرة على باب المندب وأجبروا السفن المارة على دفع الرسوم الجمركية، مما جعل العمانيين يرسمون سياسة معينة لمواجهة خطر البرتغاليين في تلك المناطق، حتى تمكنوا من طردهم من باب المندب[٦٩].

وفي عام ١٠٧٩هـ /١٩٦٨م التقت السفن البرتغالية مع السفن العمانية بالقرب من ميناء "المخا" حيث دارت معركة بين الطرفين، انتهت بانتصار العمانيين على البرتغاليين(٧٠)، وسرعان ما أرسل البرتغاليون قوة لمواجهة العمانيين مقابل ميناء "المخا" فكان النصر من صالح البرتغاليين في عام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م، مما جعل نائب "مخا" الحسن بن المطهر[٧١]يقف إلى جانب العمانيين ضد البرتغاليين(٧٢). وفي عام١٠٨١هـ/١٦٧٠م هاجم البرتغاليون ميناء "المخا" بسبب مساعدتها العمانيين والتعاون معهم حتى تمكنوا من صد هجوم البرتغاليين.

(٦٨) الوزير، طبق الحلوى، ص ١٨١-١٨٤.

(٦٩) السيابي، عمان عبر التاريخ، ص ٢٤٦.

(٧٠) السيابي، عمان عبر التاريخ، ص ٢٤٦.

(٧١) الحسن بن المطهر بن محمد الجزموري، كان والياً على ميناء المخا. لمزيد من التفاصيل انظر: الملحق رقم (٣)؛ محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف،ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٧٢) سارجنت – آر – بي، النشاط الملاحي العماني على الساحل العربي الجنوبي، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م، ص١٢٠.

وربما يكون السبب في كثرة هجوم البرتغاليين على المخا، بسبب مساعدتهم للعمانيين في صراعهم مع البرتغاليين، ورفضهم تقديم أية تسهيلات تجارية في ذلك الوقت للبرتغاليين. الأمر الذي جعلهم يسيطرون على جزيرة سقطرة عام ١٠٨٢ هـ/ ١٦٧١م فصالحهم نائب المخا، لعدم قدرته على استمرار الحرب معهم. مما جعل العمانيين يوجهون قوة بحرية إلى جزيرة سقطرة وهاجمت البرتغاليين هناك، كما لاحقتهم في باب المندب(٧٣). كان إمام عمان سلطان بن سيف الأول يهدف من مطاردة البرتغاليين في اليمن إلى تقديم المساعدة لإمام اليمن إسماعيل بن قاسم في صراعه مع البرتغاليين، ولكن إمام اليمن أبدا استياءه مما يفعله العمانيون من تدخل في بلاده، ويتضح ذلك من رسالة بعث فيها الإمام سلطان إلى إمام اليمن وضّح فيها استياءه من ذلك(٧٤).

واستمرت العلاقات بين العمانيين واليمنيين متوترة؛ لأن إمام اليمن إسماعيل بن قاسم اتخذ موقفاً معادياً من الوجود البحري العماني في البحر الأحمر وسواحل جنوب الجزيرة العربية(٧٥)، ومحاولة البرتغاليين السيطرة على السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، والتحكم فيها تجارياً، ولكنهم فشلوا في ذلك(٧٦)؛مما جعل العمانيين يوجهون قوة بحرية للقضاء على البرتغاليين في هذه المناطق.

ومن جهة أخرى فإن الفرس استغلوا هذه الأوضاع السائدة في اليمن، وسعوا إلى منافسة العمانيين في ذلك الوقت عام ١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م، ولم يكتف الفرس بذلك، بل أرسل شاه فارس رسالة إلى إمام اليمن وضّح فيها بأن العمانيين أصبحوا قوة بحرية كبيرة تهدد كلاً من فارس واليمن، وعرض على إمام اليمن التحالف معه ضد

(٧٣) الوزير، طبق الحلوى، ص٣٠٣-٣٠٨.
(٧٤) للاطلاع على هذه الرسالة. انظر الملحق رقم (٢).
(٧٥) الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢٣٠-٢٣١.
(٧٦) الرمّال، صراع المسلمين مع البرتغاليين، ص١٣٥.

العمانيين ليقوما بالهجوم على عمان، ولكن إمام اليمن ردّ على شاه فارس بأنه ليس لديهم القدرة على القيام بذلك في الوقت الحالي، وأنه سيدرس الهجوم المشترك مستقبلاً، وذكر أنه عندما تكون الفرصة مناسبة للهجوم على العمانيين فسيستعين بالفرس(٧٧). وأوضح إمام اليمن كذلك بأن الخلاف والنزاع بين عمان واليمن أصبح واضحاً بين الدولتين. لقد حاول شاه فارس أن يحقق مكاسب على حساب العمانيين والاستفادة من تلك الخلافات والنزاعات السائدة بين عمان واليمن. ولكن إمام اليمن لجأ إلى الحكمة والتريث في الهجوم على عمان(٧٨). ولكن كل ذلك لم يؤثر في نشاط العمانيين البحري، فقد زاد ذلك من نشاطهم التجاري والبحري في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية متحاشين الاصطدام مع السفن المعادية لهم.

وفي عام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م أرسل إمام اليمن إسماعيل بن قاسم رسالة إلى إمام عمان سلطان بن سيف الأول، ردًا على رسالة منه. وضّح حامل هذه الرسالة غضب إمام اليمن من هجوم القوة البحرية العمانية على اليمن وسواحله. ورد إمام عمان على ذلك برسالة يقول فيها: "لم نجهز مراكبنا، ونحشد مخالبنا، لسيادة رعيَتك، ولا لاستباحة دم أهل حكمك وقضيتك، لكن جهزنا الجيوش والعساكر، وأعددنا اللهاذم والبواتر، لتدمير عبدة الأوثان وأعداء الملك الديّان، تعرضاً منا لرضا رب العالمين، وإحياءً لسنة نبيّه الأمين، ورغبة في إدراك فضل الصابرين المجاهدين، وحاش مثلك أن يغضب لقتال عبدة الأصنام، وأعداء الله والإسلام، وأنت تدري ما جرى بيننا وبينهم من قبل في سواحل عمان وفي سائر الأماكن والبلدان، من سفك الدماء(٧٩)."

(٧٧) الوزير، طبق الحلوى، ص٢٠٧.

(٧٨) الوزير، طبق الحلوى، ص٣٠٣-٣٠٨.

(٧٩) الوزير، طبق الحلوى، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، صححه وعلق عليه: أبو إسحاق إبراهيم طفيش الجزائري الميزابي، ج٢،

وقد وضّح في هذه الرسالة بأن عمان وقوتها البحرية لا تهدف من ذلك الاستيلاء والسيطرة على اليمن وتجارتها، إنما تهدف إلى الهجوم على البرتغاليين والقضاء عليهم، وأكد بأن ليس لعمان أية أطماع في اليمن وتجارتها، ودعا إمام عمان إمام اليمن إلى التصالح والتسامح بين البلدين بحد قوله: "إن في إصلاح ذات بيننا وبينكم طالبون، وفي استبقاء صحبتك راغبون"(٨٠).

ثم قامت فيما بعد عدة محاولات برتغالية للسيطرة على عدن ولكن دون جدوى(٨١). ففي عام ١٠٧٢ هـ/١٦٦١ م توجهت قوة بحرية برتغالية إلى عدن، فتصدى لهم نائب المخا الحسن بن المطهر آنذاك، وكان سبب الهجوم البرتغالي رداً على عدم السماح لهم بممارسة التجارة هناك(٨٢)، وكان يتطلع إلى مساعدة إمام اليمن إسماعيل بن قاسم في صراعه مع البرتغاليين(٨٣)، ولكن إمام اليمن لم يفعل شيئًا.

لقد رد إمام اليمن إسماعيل بن القاسم على رسالة إمام عمان سلطان بن سيف برسالة، ذكر فيها عبارات التهديد والتخويف والوعيد وهذا يوضح مدى العلاقات السائدة بينهما، وأيضاً مدى غضب إمام اليمن من إمام عمان، ولم يظهر إمام اليمن في هذه الرسالة أي بوادر للتصالح والتسامح بين البلدين(٨٤). وبعد الاطلاع على

مطبعة الشباب، ط٢، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ص٥٠ – ٥١؛ للاطلاع على الرسالة انظر الملحق رقم (٢).

(٨٠) السالمي، تحفة الأعيان، ص٥٢؛ الوزير، طبق الحلوى، ص٢٥٦.

(٨١) الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين، ص٢٥-٢٦.

(٨٢) ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٨٤.

(٨٣) الشوكاني، البدر الطالع، ص١٤٦.

(٨٤) للاطلاع على هذه الرسالة، انظر الملحق رقم (٢).

هاتين الرسالتين يتضح موقف إمام اليمن من جراء هجوم العمانيين على البرتغاليين في اليمن، ورفض التعاون مع العمانيين ضد البرتغاليين.

أسباب رفض إمام اليمن مساعدة العمانيين:

هناك أسباب عدة جعلت إمام اليمن يرفض مساعدة العمانيين في حربهم مع البرتغاليين، ومن ذلك الخلاف المذهبي بين اليمنيين والعمانيين، فاليمنيون يتبعون المذهب الزيدي، وهو أساس الحكم الإمامي في اليمن، أما الحكام العمانيون فكانوا على المذهب الإباضي، وهو أساس الحكم في عمان، إلا أن اليمنيين رفضوا انتصار الإباضية العمانية على الاستعمار البرتغالي، اعتقادًا منهم أن العمانيين يسعون إلى السيطرة على المناطق اليمنية، وظهر على هذا الخلاف المذهبي بين إمام اليمن إسماعيل بن قاسم وإمام عمان سلطان بن سيف الأول من خلال الرسالة التي بعثها إمام اليمن إلى إمام عمان بقوله: "ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف، وأنتم أتباع من سُقي(٨٥)".

وأيضاً في عام ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م، أخذ إمام اليمن يسعى منذ خروج الدولة العثمانية من اليمن إلى الخروج من الأزمة الاقتصادية التي كانت تعانيها بلاده، ونتيجة لذلك فقد أصبحت بعض الموانئ اليمنيَة تمارس نشاطاً تجارياً قوياً، وخاصة في ميناءي المخا وعدن، وبذلك نجحت بعض القوى الأوربية مثل البرتغاليين والهولنديين والإنجليز التي حصلت على حق التجارة مع الموانئ اليمنية في بعض الأوقات، ومارست التجارة مع بعض المناطق في بلاد الهند، ولكن الوجود العثماني في البحر الأحمر منع السفن الأوربية من المكوث في هذه المناطق، وكانت نتيجة ذلك ازدهار نقل البضائع بالسفن العربية الإسلامية، وشاركت في ذلك السفن اليمنية

(٨٥) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢،ص ٥٢ –٥٣؛ الوزير، طبق الحلوى، ص ٢٥٦.

بنقل البضائع من موانئ اليمن ومصر إلى مناطق البحر الأحمر(٨٦). كل ذلك كان بسبب ضعف الإمبراطورية البرتغالية وانحلالها وانشغالها بالدفاع عن مستعمراتها بالهند والشرق الأقصى ومناطق إفريقيا والخليج العربي، ومنح أئمة اليمن تسهيلات تجارية للدول الأوربية مع الموانئ اليمنية؛ كل ذلك شجع على عودة النشاط التجاري وازدهاره في البحر الأحمر في ذلك الوقت(٨٧)،ولكن بسبب الصراع البرتغالي العماني حينذاك فقد تأثرت التجارة اليمنية في ميناء المخا، أثر الصراع على المكاسب التي يحصل عليها أئمة اليمن من هذه التجارة(٨٨). وهذا ما جعل إمام اليمن ينظر نظرة استياء إلى القوة البحرية العمانية في المناطق اليمنية لعرقلتها التجارة في اليمن، حيث كان العمانيون يحصلون على أموال كثيرة من جراء هذه التجارة، واستفادت منها خزينة الدولة، وأدى هذا الصراع العماني البرتغالي إلى ابتعاد بعض التجار عن التعامل التجاري مع الموانئ اليمنيَة، بعدما أصبحت تشكل خطراً عليهم وعلى تجارتهم في هذه المناطق.

كان الإمام سلطان بن سيف الأول يهدف من الهجوم على البرتغاليين في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية والمحيط الهندي توجيه ضربة للقواعد العسكرية والتجارية والاقتصادية في تلك المناطق، رداً على هجومهم على السفن العمانية المحملة بالبضائع والخيول والأرز التي سيطروا عليها(٨٩).لأن العمانيين كانوا

(٨٦) سالم، السيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، معهد البحوث والدراسات العربيّة، ط١، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٤٢٦-٤٢٧؛ الوزير، طبق الحلوى، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٨٧) يوسف حسن، الصراع حول البحر الأحمر، ص ١٢٣-١٢٤.

(٨٨) سارجنت، النشاط الملاحي العماني، ص١١٥.

(٨٩)سرحان بن سعيد الأزكوري، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامعة لأخبار الأمة، تحقيق: عبدالمجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة بعمان، ط٢، مسقط، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١١١؛ صلاح العقاد، دور العرب والفرس في مكافحة الاستعمار البرتغالي –

فرضوا حصارًا تجاريًا على البرتغاليين في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية، كما هاجموا السفن والمواقع التجارية البرتغالية في المحيط الهندي(٩٠). بسبب خطورتهم على التجارة مع تلك المناطق وعلى أمن خطوطهم الملاحية البحرية في تلك الجهات.

وفي عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م هاجم البرتغاليون ميناء المخا بسبب خلاف دار بينهم وبين نائبها حول دفع الرسوم الجمركية هناك، فتصدى لهم نائب المخا آنذاك(٩١). وفي عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م استطاعوا السيطرة على سقطرة، وصالحوا نائب المخا، فسمح(٩٢) لهم بممارسة التجارة في بلاده. وأخذ العمانيون يكثفون من حملاتهم على سواحل البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية، وخاصة بعد مصالحة نائب المخا للبرتغاليين. وفي عام ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م أبحرت قوة عمانية إلى جزيرة سقطرة فهاجمت البرتغاليين وانتصرت عليهم، وأخذ العمانيون يطاردون السفن البرتغالية حتى وصلوا إلى عدن ولكن تصدى لهم اليمنيون حتى انسحبوا من تلك المناطق(٩٣).وفي عام ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م وصلت قوة بحرية عمانية إلى باب المندب فاستطاعت السيطرة عليه، الأمر الذي أدى إلى القضاء على التهديد البرتغالي في تلك

دراسة مقارنة – حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج٤، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٠١.

(٩٠) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢، ص ٥١.

(٩١) أبو طالب، محسن بن الحسن بن أحمد بن القاسم، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول ١٠٥٦-١١٦٠هـ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، ط١، مطابع المفضل للأوفست، صنعاء، ١٩٩٠م، ص١٣٥؛ حيدرة، تكوين الجنوب العربي، ص٧١.

(٩٢) أبو طالب، تاريخ اليمن، ص١٣٥؛ حيدرة، تكوين الجنوب العربي، ص٧١.

(٩٣) أبو طالب، تاريخ اليمن، ص١٣٥؛ حيدرة، تكوين الجنوب العربي، ص٧١.

المناطق، مما جعل السفن العمانية التجارية تتحرك إلى الخليج العربي وغيره من المناطق بكل حرية دون أي تهديد من السفن البرتغالية(٩٤).

وأياً كان الأمر فقد استمرت السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ذات أهمية للخليج العربي، ففي الوقت الذي ساهم فيه أبناء الخليج العربي في التجارة في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية والمحيط الهندي والشرق الأقصى، وقاموا بدور كبير في الملاحة وتجارة في هذه المناطق اقتصادياً، وسعوا إلى فرض الأمن والحماية التي تحتاجها السفن العمانية العسكرية والتجارية المتجهة من اليمن والهند والشرق الأقصى إلى الخليج العربي، ومهما كان الأمر فقد كان العمانيون سادة البحار الشرقية قبل ظهور البرتغاليين وبعد ظهورهم زمن، وكان لنشاطهم البحري والتجاري آثار كبيرة، فقد أدى إلى نبوغ أبناء عمان في علوم الملاحة والفلك والجغرافيا، فأصبح لهم التفوق التجاري البحري على غيرهم من الشعوب الأخرى. وتمثل السواحل الجنوبية للجزيرة العربية حلقة من حلقات العلاقات بين اليمن والخليج العربي، وخاصة عمان في ذلك الوقت. فقد سعى العمانيون إلى الحصول على الرزق من أرضهم ومن البحار المحيطة بهم، سواء في المحيط الهندي أو البحر الأحمر أو السواحل الجنوبية للجزيرة العربية، فركبوا البحار سعياً وراء الرزق والتبادل التجاري مع الشعوب.

اتبع سلطان بن سيف سياسة متوازنة في علاقاته مع القوى الأوربية، خاصة الهولنديين والإنجليز(٩٥)، وأدى العمانيون من خلال ذلك دوراً أساسياً وإيجابياً في

(٩٤) السالمي، تحفة الأعيان، ج٢،ص٥٥.

(٩٥) اتسمت العلاقات الهولندية الإنجليزية منذ وصولهما إلى بحار الشرق بطابع التنافس التجاري الدولي، فقد اتبع الهولنديون مختلف الأساليب للإبقاء على قوتهم التجارية وتطويرها على حساب الإنجليز والبرتغاليين، يساعدهم في ذلك التفوق الواضح لأساطيلهم العسكرية والتجارية، وسعى كل منهما إلى كسب ود القوى المحلية في فارس والخليج العربي، وسرعان

النشاط البحري في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية والمحيط الهندي، على الرغم من التنافس بين هاتين الدولتين على النفوذ والسيطرة، مع حرصهما على عدم تقديم المساعدة للعمانيين ضد اليمنيين في ذلك الوقت، ويرى بعضهم أن العلاقة الودية بين هاتين الدولتين من جهة وبين العمانيين من جهة أخرى أدت إلى استفادة كل طرف من الآخر، حيث أسهمتا في إضعاف البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي، حتى دحر العمانيون البرتغاليين ووضعوا حدًّا لتفوقهم العسكري(٩٦).

لقد أدت تلك العلاقة الحسنة بين العمانيين والإنجليز إلى أن يستغل البرتغاليون ذلك باتهام الإنجليز بدعم العمانيين ومساندتهم بالسلاح والعتاد، وقيادة الإنجليز للسفن العمانية، وهذا الاتهام يؤدي إلى تساؤل: هل شارك الإنجليز فعلاً في الحرب التي كانت بين العمانيين والبرتغاليين في البحر الأحمر وسواحل الجنوبية للجزيرة العربية والمحيط الهندي والخليج العربي؟ وأجاب عن هذا السؤال بوكسر، أحد الباحثين الثقات في المنافسات الدولية في المحيط الهندي، بقوله: "كان هناك تعاطف إنجليزي مع العمانيين ضد البرتغاليين، يرجع أسبابه إلى الصراعات المذهبيّة بين الإنجليز (الأنجليكان) وبين البرتغاليين (الكاثوليك) بالإضافة إلى سياسة الاحتكار التي كان يفرضها البرتغاليون، إلاّ أنني أعتقد بل أستبعد أن الإنجليز قدموا أية مساعدات إلى العمانيين ونستثني من ذلك بعض البحارة الإنجليز الذين عملوا في الأسطول العماني ومن قلتهم لم يلفتوا النظر، ولم يعملوا بصفة رسمية، وإنما قاموا بهذه المهمة كأُجَرَاء

ما طغى النفوذ الإنجليزي عليه، وبدأت هولندا تفقد مراكزها التجارية لصالح الإنجليز. لمزيد من التفصيل انظر:

(IOR).E\3\24,2337& 2339,Letter Isfahan to Company 10 September 1653, and Isfahan to Surat 27 September 1653;

(٩٦) حنظل، فالح، المفصل في تاريخ الإمارات العربيّة، نشر لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة، ط١، أبو ظبي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٩٨ – ٩٩.

لدى العمانيين، بل قد نصل إلى عكس هذه الفكرة تمامًا، حين نعلم أن الإنجليز كانوا ينظرون بقلق من تطور القوة العمانية"[٩٧].

لقد حرصت إنجلترا وهولندا في دخولهما إلى البحار الشرقيّة على تكوين الشركات التجارية، حتى يكون التعاون مرحباً به من الأهالي والزعماء في تلك المناطق، في حين فشل البرتغاليون في احتلال بلدان الشرق بشكل مباشر، لذا فالفرق واضح بين البرتغاليين الذين أتوا لاحتكار التجارة منذ البداية وبين من يريد التعامل التجاري فقط، مثل الإنجليز والهولنديين، وقد استطاعت القوى المحلية، وخاصة عمان التعامل مع مختلف البلدان والديانات ما دام ذلك الأمر يتم سلمياً، على خلاف ما فعله البرتغاليون، فليزم ملاحقتهم وقتالهم في البحر الأحمر والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية والمحيط الهندي والخليج العربي.

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت السفن العمانية تسير في سواحل المحيط الهندي والخليج دون أن تتعرض لها السفن الإنجليزية أو الهولندية، وبالمقابل لم يسئ العمانيون للسفن والتجارة الإنجليزية في عهد الإمام سلطان في تلك الفترة[٩٨].

أتت السياسة المتوازنة التي اتبعها الإمام سلطان بن سيف الأول، تجاه كل من إنجلترا وهولندا ثمارها، مما أدى إلى إضعاف الوجود البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي.

ومهما يكن من أمر فقد استمرت السواحل الجنوبية للجزيرة العربية على أهميتها للخليج العربي، حيث تمثل جزءاً من العلاقات القائمة بين اليمن والخليج العربي وخاصة عمان.

الخاتمة:

(٩٧) قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١٢.

(٩٨) لوريمر، ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي والجغرافي، ج٢، ترجمة: مكتب الترجمة، ديوان حاكم قطر، الدوحة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص٦٤٠-٦٤١.

على الرغم من قلة الدراسات التي كتبت عن العلاقات العمانية اليمنية، فإنها لم تُشر بشكل مفصل عن العلاقات العمانية اليمنية في ظل الوجود البرتغالي في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية.

وفيما يلي أهم ما توصل إليه البحث:

- اعتمدت اليمن على التجارة والزراعة والثروات المعدنية في اقتصادها. وكانت تصدر العطور العربية اليمنية والبخور والمر والذهب والحديد وأخشاب الزينة والبن اليمني المشهور عالميًا كسلعة تجارية بحراً و براً إلى عمان وأوروبا، وإلى مناطق الشرق الآسيوي كالهند والصين.
- أن أهم السلع التجارية التي يتعامل بها اليمنيون مع الدول الأوروبية هي البن والمر والبخور وغيره من المنتجات. وأيضاً استيراد الملابس القطنية من الدول الأوروبية وغيرها من البضائع الأخرى التي تحتاجها اليمن.
- كونت عُمان علاقات تجارية قوية ومزدهرة مع كل من اليمن والعراق وبلاد فارس والبحرين، حيث كان العمانيون ناقلين للسلع والمنتجات من هذه المناطق إليها، ولم يكتفوا بذلك بل أصبحوا تجارًا ووسطاء بين تجار المناطق الأخرى. كل ذلك بفضل موقع عمان الجغرافي الأكثر ملاءمة للملاحة والتجارة المتبادلة بين الدول.
- اشتهرت عمان بإنتاج عدد من السلع وتصديرها، مثل المنسوجات، والتمور، والنحاس، واللبان، إلى جانب السلع التي كانت تمر عبر الموانئ العمانية، وبذلك تعددت الصادرات والواردات بين عمان واليمن، وهذا دلالة على ازدهار التجارة والمكانة الاقتصادية العمانية في ذلك الوقت.
- بعض المؤرخين في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي أطلقوا عليه العصر الذهبي للتجارة والملاحة في منطقة الخليج العربي وبحر العرب.
- ازدهر التبادل التجاري بين عمان واليمن فقد كانت الأساطيل العمانية تخرج من موانئ عُمان محملة بمختلف المنتجات، وتتجه إلى مختلف الموانئ اليمنية

للتبادل التجاري بين البلدين وتصدير منتجاتها، كما تعددت الصادرات والواردات بين عُمان واليمن.

- نجح البرتغاليون في بناء إمبراطوريتهم في الشرق، مما أثار انتباه القوى الأوربية الأخرى إلى أهمية ثروات الشرق وخيراته، خاصة الإنجليز والهولنديين الذين كوّنوا شركات من أجل الاستحواذ على خيرات الشرق؛ لذا بدءوا بالتوافد على البحر الأحمر والخليج العربي بأساطيلهم التجارية.
- أثر الصراع العماني البرتغالي في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية سلباً في العلاقات بين العمانيين والقوى المحلية، وخاصة اليمن.
- استمرت العلاقات العمانية اليمنية متوترة بين البلدين في ظل الوجود البرتغالي في السواحل الجنوبية آنذاك.
- وقوف الإنجليز والهولنديون موقفًا محايدًا من الصراع العماني البرتغالي؛ إذ يصب إضعاف الوجود البرتغالي في مصلحتهم، وكذلك إضعاف القوة العمانية المتنامية.
- أضرت المعارك البحرية التي جرت بين العمانيين والبرتغاليين بتجارتهما، على السواء في الخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي.

المصادر والمراجع

أولاً– الوثائق

- رسائل متبادلة بين إمام عمان واليمن.
- وثائق برتغالية مترجمة إلى الإنجليزية:

(IOR).E\3\24,2337& 2339,Letter Isfahan to Company 10 September 1653, and Isfahan to Surat 27 September 1653;

- وثائق يمنية توضح الوضع السائد في تلك الفترة وبعض التعريف بالأئمة.
- وثائق غير منشورة من سجلات مكتب الهند (IOR):

India office Portuguese Records:

ثانياً – وثائق منشورة في شكل ملخصات وكتب:

- لوريمر، ج. ج، دليل الخليج، القسم التاريخي والجغرافي، ١٤جزء، ترجمة: مكتب الترجمة، ديوان حاكم قطر، الدوحة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- سالم، سيد مصطفى، وثائق يمنية: دراسة وثائقية تاريخية،ط٢، صنعاء، يناير ١٩٨٥م.

ثالثاً – المصادر المطبوعة:

- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م)، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت (ب. ت).
- ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي، وزارة التراث والثقافة مسقط، ١٩٧٧م.
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت أواخر القرن الثالث الهجري)، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غوية، ليدن، ١٨٨٥م.
- ابن القاسم، أبو طالب محسن بن الحسن بن أحمد، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول ١٠٥٦-١١٦٠هـ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، ط١، مطابع المفضل للأوفست، صنعاء، ١٩٩٠م.
- التاجر سليمان، سلسلة التواريخ، طبع بدار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨١١م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جـ ١، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأزكوري، سرحان بن سعيد، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامعة لأخبار الأمة، تحقيق: عبدالمجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة،ط٢، مسقط، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ٢٢٨م)، معجم البلدان، ج٤، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠م.
- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م م)،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العالمية، بيروت.
- المسعودي أبو الحسن بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ج١، دار الفكر، ط٥، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- المقدسي أبو محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥ م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٣٢٧هـ /١٩٠٩م.

رابعاً – المراجع العربية:

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، علاقة ساحل عُمان ببريطانيا، دراسة وثائقية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٨٥م.
- أبو العلا، محمود طه، جغرافية شبه جزيرة العرب،ج١، ط٣، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، منشورات العصر الحديث،ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الحبشي، عبدالله محمد، الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- حنظل، فالح، المفصل في تاريخ الإمارات العربيّة، نشر لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة،ط١، أبوظبي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- حيدرة، عبدالرحمن صالح، تكوين الجنوب العربي وثورة السلطنات ضد حكم الأئمة ١٤٦٦-١٧٣٣م، ط١، ٢٠٠٨م.
- الرمّال، غسان علي، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، ط١، جدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- زبارة، محمد بن محمد، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ.
- سالم، السيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥، معهد البحوث والدراسات العربيّة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم طفيش الجزائري الميزابي، ج٢، ط٢، القاهرة، ١٩٣١م.
- السروري، محمد عبده، أهمية موقع عدن في النشاط التجاري البحري الدولي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي،(ب.ت).
- السيابي، سالم حمود شامس، عمان عبر التاريخ، الجزء الثالث، وزارة التراث والثقافة بعمان،ط٢، مسقط ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، دراسة جغرافية، تاريخية، سياسية شاملة، ط٢، مطبعة السنة المحمدية، عابدين، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- شهاب، حسن صالح، فن الملاحة عند العرب، ط١، دار المودة، بيروت ١٩٨٢م.
- طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، القاهرة،ط١،دار الفكر، ١٩٦٩م.
- العاني، عبدالرحمن، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط١، مسقط،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- العمري، حسين عبدالله، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل اسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين ١٥١٦- ١٩١٨م،ط٢، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١ م.
- العيني، بدر الدين حسين، العلاقات بين العرب والصين، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- العيني، محسن أحمد، معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن، دار الشروق،ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- عبدالعليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩م.
- الغنيم، عبدالله يوسف، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، الكويت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، القاهرة، ١٩٧٧م.
- متولي، محمد، حوض الخليج العربي، ج٢،ط٢، القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- متولي، أبو العُلاَ، محمد، ومحمود، جغرافية الخليج العربي وخليج عُمان ودول شرق الجزيرة العربية، ط٢، مكتبة الفلاح، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- مجموعة باحثين، الموسوعة اليمنية، ط٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠٣-٢٠٠٥ م.
- قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- كامل، محمود، اليمن شماله وجنوبه، تاريخه وعلاقاته الدولية، بيروت، ١٩٦٨م.
- وزارة الإعلام بسلطنة عُمَان، عُمَان في التاريخ، دار إميل للنشر، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- الويسي، حسين علي، اليمن الكبرى، كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، ج١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٦٢م.

خامساً – المراجع الإنجليزية:

- Denvers, F.C, The Portuguese in India, vol. II, London,1894. p370.

سادساً – المراجع الأجنبية المعرّبة:

- جورج فاضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ ١٩٣٧م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.

سابعاً – الدراسات والبحوث:

- حسن، يوسف فضل، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة الدارة، ع٢، السنة الثامنة، الرياض، ١٩٨٣م .
- الداود، محمود علي، تاريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي، مجلة كلية الآداب، عدد ٥، القاهرة،١٩٦٢م.
- سارجنت – آر – بي، النشاط الملاحي العماني على الساحل العربي الجنوبي، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- سامية محمد عبدالله الغسيل، اليمن: نشاطها التجاري والحياة الاجتماعية لتجارها في الفترة ٧-٥هـ / ١١-١٣م، بحث تكميلي لمتطلبات نيل ماجستير العلوم الإنسانية منشور، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ٢٠٠٦م.

- صلاح العقاد، دور العرب والفرس في مكافحة الإستعمار البرتغالي – دراسة مقارنة – حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج٤، وزارة التراث والثقافة بعمان، مسقط، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- يوسف فضل حسن، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثامنة، الرياض، ١٩٨٣م.

ثامناً – شبكة الإنترنت:

- الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia

الملاحق:

- الملحق رقم (١): وثائق برتغالية مترجمة إلى الإنجليزية.
- الملحق رقم (٢): الرسائل المتبادلة بين الإمام العماني سلطان بن سيف الأول وإمام اليمن القاسم بن محمد.
- الملحق رقم (٣): الأوضاع السائدة في اليمن مع التعريف ببعض الأئمة.
- الملحق رقم (٤): خريطة اليمن.
- الملحق رقم (٥): خريطة عمان والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية.

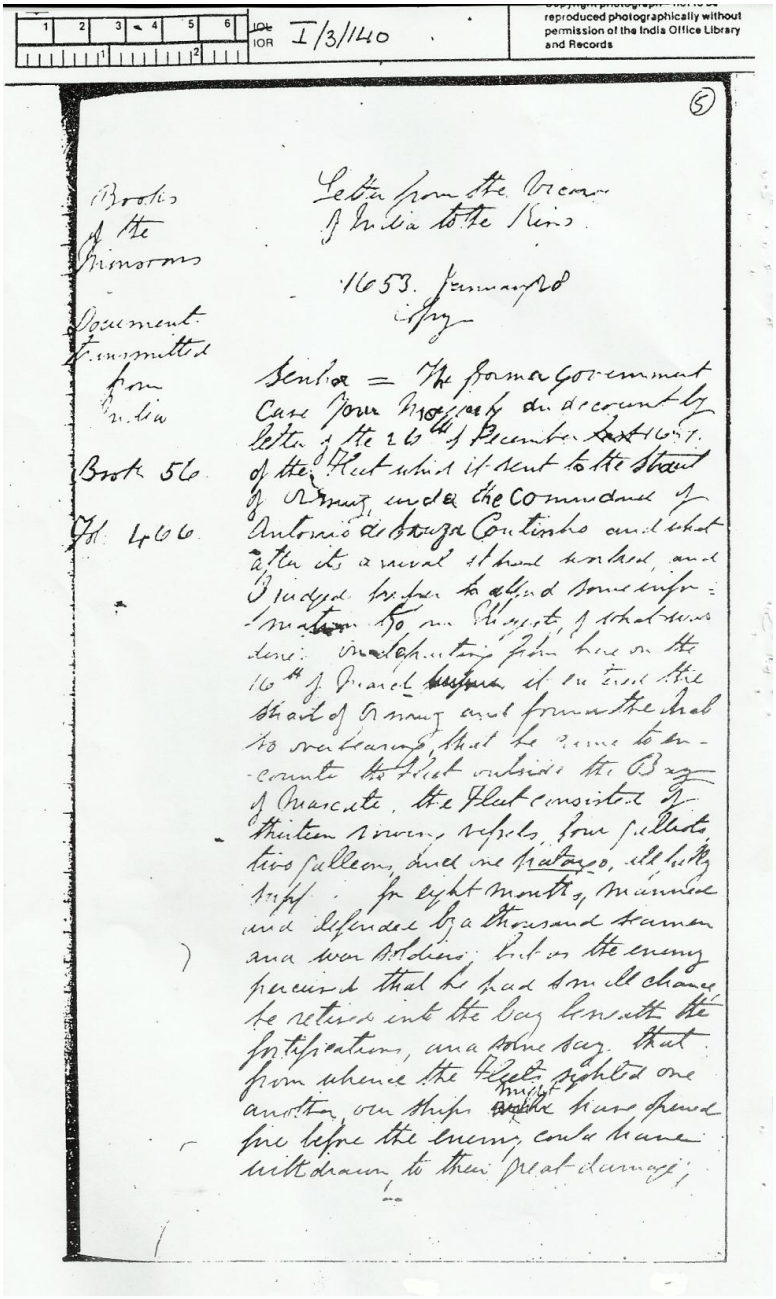
reproduced photographically without permission of the India Office Library and Records
IOR I/3/1140

(5)

Books of the Simoens Document transmitted from India

Book 56

Fl 466

Letter from the Viceroy of India to the King.

1653. January 20

Senhor = The former Government Case Your Majesty by account by letter of the 26th of December last 1651. of the fleet which it sent to the Straits of Ormuz under the Command of Antonio de Souza Coutinho and that after its arrival it found anchored, and Judged proper to attend some information to our Service of what was done: We shall inform Your Majesty on the 16th of March of the Year the start of Ormuz and from the that to ourselves that he came to encounter the Fleet outside the Bay of Muscate, the Fleet consisted of thirteen rowing vessels, four galleots, two galleons, and one Galleyzo, all very light. In eight months of maintenance and defence by a thousand Armen and two Soldiers: but as the enemy perceived that he had no all chance he retired into the bay beneath the fortifications, and some say, that from whence the fleets pushed one another, our ships might have opened fire before the enemy could have withdrawn to their great damage;

وثائق برتغالية مترجمة إلى الإنجليزية ملحق رقم (١)

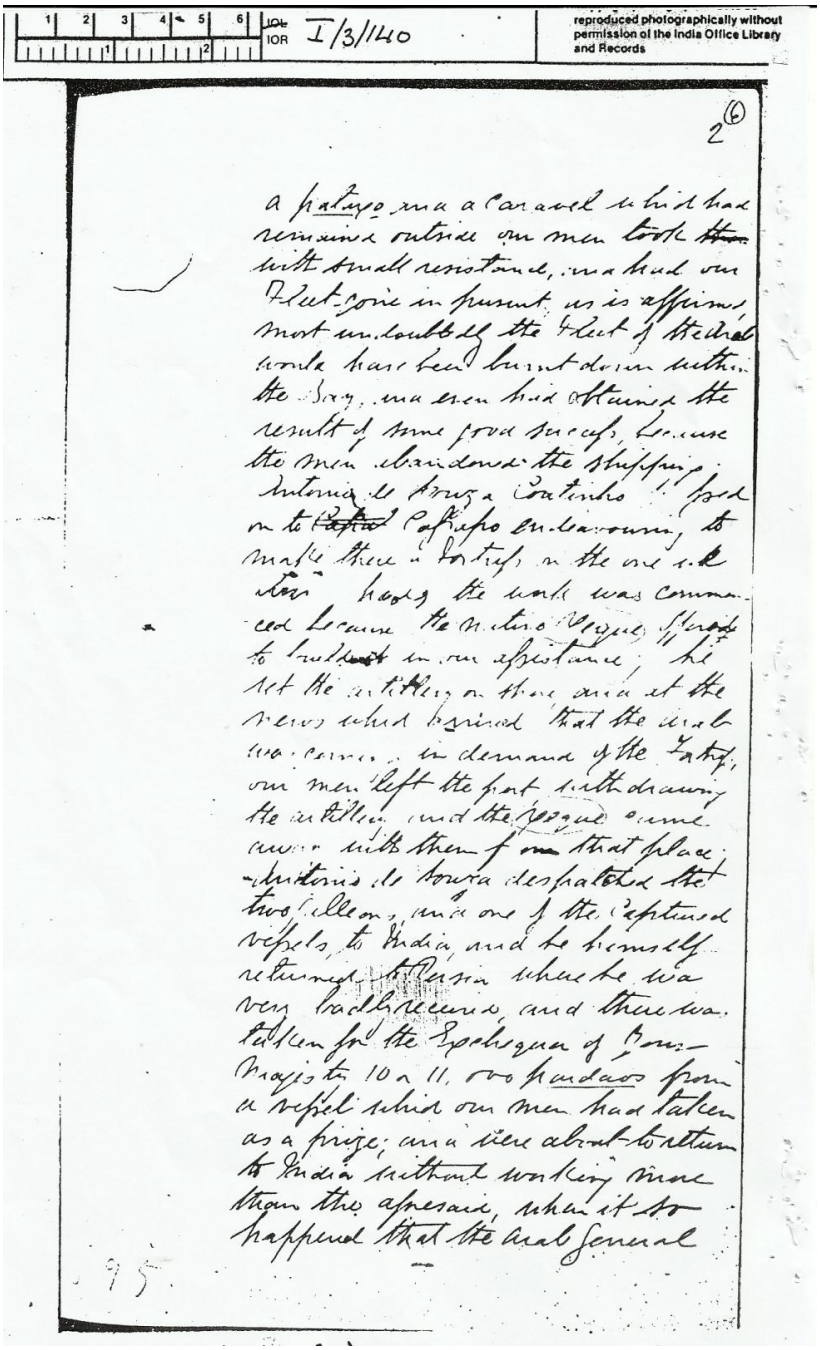

وثائق برتغالية مترجمة إلى الإنجليزية ملحق رقم (١)

الرسائل المتبادلة بين الإمام العماني سلطان بن سيف الأول وإمام اليمن القاسم بن محمد. ملحق رقم (٢)

١- الرسائل المتبادلة بين الإمام العماني سلطان بن سيف الأول وإمام اليمن القاسم بن محمد.

المصدر ، الوزير ، طبق الحلوى ،ص ٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧ ؛ السالمي ، تحفة الأعيان ، ج٢ ،ص٥٠-٥١-٥٢.

الرسائل المتبادلة بين الإمام سلطان بن سيف الأول
وإمام اليمن القاسم بن محمد

لقد وجه الإمام (سلطان بن سيف رسالة إلى إمام اليمن القاسم بن محمد جاء فيها :

من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك رأس العرب اليعربي العماني إلى عالي ذروة الجناب المعظم الهمام اسماعيل بن القاسم القرشي العربي .. أما بعد .. فإنا نحمد الله على آلائه وجميل صنعه وبلائه ، ونسترشده إلى سلوك سبيل رضاه ونستزيده من خزائن مواهبة وعطاه إنه بيده مفاتيح كل خير وكفاية كل بؤس وضير ، وإن سألت أيها المحب عنا ورمت كيفية الحال منا . فإنا بحمد الله في حال يسر به الودود ، ويساء به الحسود . ثم لتعلم أيها الملك أن قد وصل إلينا في مدة أيام قد تصرمت وشهور قد تخرمت رجل من جنابكم يزعم أنكم أرسلتم بيده طروساً بها درر من رائق لفظكم وخطابكم غير أنه يقول إن المركب الذي أقبل فيه عابهالإنكسار فغرق في اليم ، فأدرك الطروس المسطرة حكم التلف ، ثم بيد أنه قد أفاد إلينا من نتائج لسانه ، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم وأخذهم لسفنهم الواردة لجنابكم ، ولعمري إنا لندري أن العتاب بين الأخلاء عنوان المودة الخالصة والصفاء وزائد محض المودة الصادقة والوفاء غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم ، فإنا نحن لم نقصد إلى انتهاك ذلك سبيلاً ، ولا نجد لك على إلزام فعل ذلك دليلاً ، إذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبنا لسيارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك . ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، واعددنا اللهاذم والبواتر لتدمير عبدة الأثاون واعداء الملك الديان تعرضاً منا لرضاء رب العالمين ، واحياء لسنة نبيه الأمين ، ورغبة في ادراك أجر الصابرين المجاهدين ، وحاشا لمثلك أن يغضب لقتال عبدة الاصنام واعداء الله والاسلام ، الست من سلالة علي بن أبي طالب الساقي للمشركين وبى المشارب ، وانت تدري بما جرى بيننا وإياهم من قبل في سواحل عمان وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء وكثرة الصيال وتناهب الأملاك والأموال ، وأنا لناخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجمبرونبندرى الشاه ، ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيراً ، وإن كنت في شك من ذلك فسئل به خبيراً أو لا نذكرك أيها الملك ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وإنا لك من المنذرين وعليك من المحذرين . إنا لما ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار وهي عنا نازحة الفيافي والقفار لم نر في ملكها صلاحاً لشئ أوجبه منا النظر وحاكته الأذهان والفكر ، فتركناها لا من خوف قوة قاهر ولا كلمة علينا ظاهرة ولا يد غالبة ولا كف سالبة وحين ما خرج عنها عاملنا خلف بها شيئاً من مدافع ، كأن لم يكن وراءها ذائد ولا مدافع ، فاعلم أيها الملك أن البعل غيور والليث هصور والحر على غير الاهانة صبور ، ومن أنذر فقد أعذر ، وما غدر من حذر ، على أن في اصطلاح ذات بيننا وبينكم راغبون طالبون وفي استبقاء صحبتك راغبون ولإطفاء الفتن وإخماد المحن بيننا وإياك مؤثرون ، فإن كنت راغبا في الذي فيه رغبنا ، وطالباً لما له طلبنا ، فادفع لنا إياها ولاتحتس بسرعة الاعتداء حميّاها ، وإن أبيت إلا الميل إلى اغتنامها والجزم على خبط ظلامها ، ففي

الاستعانة بالله على من اعتدى واسعة ومن كان مع الله معه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وهذا جواب إمام اليمن القاسم بن محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من شمس سماء الخلافة العلية ، ومضرب سرادقات الشريعة المحمدية إلى قاصية أرض الملك سلطان بن سيف بن مالك اليعربي العربي العماني أراه الله نهج الهداية وجنبه مسلك الضلال والغواية .. أما بعد : الحمد الله والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى وصية الأترع البطين الحاصد سيفه رءوس المارقين ، وقد وصل كتابك الذي شحنته بالإبراق والإرعاد وعدلت به من تحسين العتاب إلى تخشين الخطاب ، وظناً منك أن هذيان وعيدك وطنين ذباب تهديدك يزعزع من بأسنا صخرة صماء أو يحرك من وقارنا جبلا أشماً فكيف يكون ذلك .

وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول

أين ذهب حجاؤك حتى طلبت منا المدافع بهذه الأراجيف والبقاقع

وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

أما علمت أن الليث إذا هيج على فريسة كان أشد إقداماً وأعظم جرأة واعتزاماً ، لا جرم أنها لما نأت بنا وبك الديار وحالت دوننا ودونك الأمصار فاسترسلت لفظك فجاوزت في سوء المقدار حدك وانفردت بأرضك فطلبت الطعن والنزال وحدك .

يا سالكاً بين الصوارم والقنا إني أشم عليك رائحة الدم

فاقطع عرى آمالك عن هذه المدافع فهي أول غنيمة إن شاء الله من قطرك الشاسع ، وقد دعوتنا على النزول على حكم الظباة والأسل .

فالبث قليلاً تلحق الهيجا جمل

ونحن من القوم الذين سقوا قومك يوم النهروان كؤوس الحتوف ، وأنتم أتباع من سقى ، فما بدأ به أوائلنا في سلفكم ، ختمنا به من بقى والسلام .

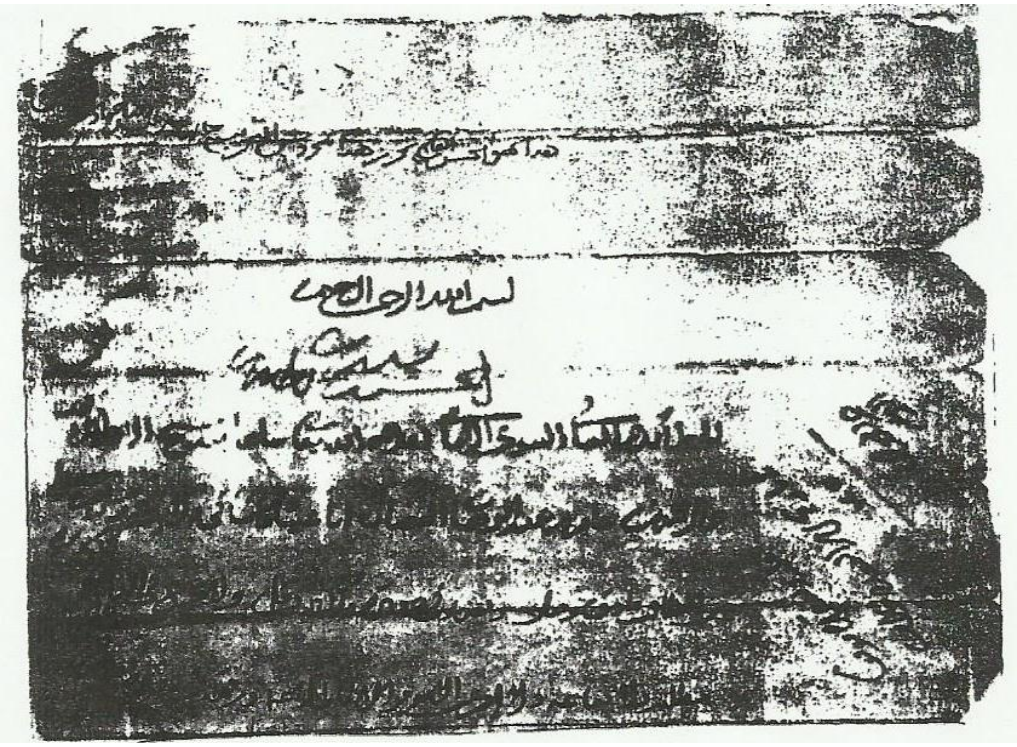

الأوضاع السائدة في اليمن مع التعريف بعض الائمة

ملحق رقم (٣)

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسن بن القاسم لطف الله به (١)

الخط الكريم العالى النبوى الامامي أعلاه الله تعالى شاهداً

.....

كتبت بأعلا الوثيقة عبارة بخط مختلف هي : هذا هو الحسن بن القاسم ، تحرر هذا بمحروس التربيه خارج زبيد أثناء جهاد الاتراك) (٢)

الهوامش :

(١) هو الحسن بن الامام القاسم بن محمد الذي تنسب اليه الأسرة القاسمية في اليمن، وكان الحسن – المتوفي في شوال ١٠٤٨هـ فبراير ١٦٣٩م – من أبرز قادة أبيه ثم أخيه المؤيد بالله محمد أثناء حروبهما مع العثمانيين حتى خروجهم من البلاد عام ١٠٤٥هـ، ١٦٣٥م. ولمزيد من التعرف على شخصية الحسن ودوره في محاربة العثمانيين يرجع إلى كتابنا: "الفتح العثماني الأول لليمن"، (ص ٣٨٧ – ٣٨٩)، كما يرجع الى ثلاثية مطهر الجرموزي المخطوطة، وهى بعنوان: الدرة المضيئة في السيرة القاسمية في سيرة الامام القاسم بن محمد، "والجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة في سيرة الامام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد" ، تحفة الاسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار".

(٢) الخط هو الأمر أو المرسوم ، أو القرار ، أو الفرمان ، وهى تستعمل للتفخيم ، وتتكرر كثيرا في الوثائق تلك الفترة .

تعد هذه الوثيقة من الوثائق التي يصعب قراءتها ، حروفها غير منقوطة تقريباً . ويلاحظ عليها أن توقيع الحسن بن المطهر قد وضع في أعلى القرار تعظيماً وتفخيماً له بحيث لم يسبقها سوى البسملة . ونلاحظ أيضاً استعمال الالقاب الدينية مع كل اسم وهو الشائع في اليمن في تلك الفترة فنجد ذكر حسن بذكر عز الاسلام وعز الدين وتختصر إلى العزي وهكذا مع باقي الاسماء .

وكل ما يهمنا في ذلك هو التعريف الصحيح للحسن بن المطهر وطريقة كتابة الوثائق والالقاب السائدة في ذلك الوقت .

سالم ، سيد مصطفى ، وثائق يمنية دراسة وثائقية تاريخية ، الطبعة الثانية ، صنعاء يناير ١٩٨٥م ، ص ٣٨ – ٣٩ .

(صورة الوثيقة رقم ٣)

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم
واللهم صل على عباده الذين اصطفى

المؤيد بالله (١) ان شاء الله المتوكل على الله (٢) لطف الله به

هذا المسطور(٣) الكريم ، والمنشور الفخيم ، الإمامي المؤيدي المحمدي ، أعزه الله ، وأعزّ به أهل طاعته وتقواه ، وأحيى به الشرع المطهر ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بيد الشيخ المقام الارشد ان شاء الله ، « حسن بن عبدالله بن صلاح بن داود بن رازح (٤) المقبلي الوادعي » ، يشهد له بالإجلال والإكرام ، والرعاية والاحترام ، والعناية الوافرة الأقسام ، مثا والينا ، وممن تحوطه شفقتنا وتقرعاه ان شاء الله باعانة الله رعايتنا ، مقررا على قواعد حَرَى (٥) والده الشيخ الرئيس الأمجد فخر الدين (٦) « عبد الله بن صلاح » وما كان عليه واليه ، مما يطابق كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة امامه الحق ، مأخوذا عليه عهد الله عز وجل وميثاقه في القيام بحق ذلك ، وأدا (وأداه) مايلزم من تحمله من طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله وطاعتنا ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأخذه مَنْ يتظَّره(٧) بمثل ذلك ، والتواصي فيما بينهم بالحق والصدق والأمانة وحسن الأخاء ، وإقام الصلوة (الصلاة) وايتاء الزكوة (الزكاة) ، وحج البيت الحرام ، وصيام شهر رمضان ، وتحليل ما أحل الله ، وتحريم ماحرم الله ، والرجوع الى الشريعة المطهرة أعزها الله ، والرضى بهالهم وعليهم ، والبراه (٨) (والبراءة) من الطاغوت (٩) والباطل ، وكل أمر يخالف أحكام الله عز وجل من نُحيِّة (١٠) الجاهلية والعصبية على غير الحق والجوار(١١) على الباطل والعدوان ، وأن يتآمروا (١٢) فيما بينهم بذلك ، وبهذه الفرائض ، و يأمروا بها كل من بلغ التكليف من نسائهم و بنيهم و بناتهم واخوانهم واخواتهم وقراتيهم (وأقربائهم) وجيرانهم ومن يتصل بهم ، و يأمروا النساء بالحجاب من الرجال

محرم الحرام عام احد وخمسين والف سنه(١٦) ١٠٥١ سنه(١٧) (وقد وجدنا خلف الوثيقه العبارة التالية ، وهي : هذا المحرر من المؤيد بالله محمد بن القسم بن محمد وأخيه المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم)(١٨)

الهوامش :

(١) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المنصور القاسم بن محمد ، وتمتد إمامته من ١٠٢٩ هـ الى ١٠٥٤ هـ. (١٦١٩ ــ ١٦٤٤م) وهو الذي عاصر خروج العثمانيين من اليمن وتسلم منهم البلاد . وتتضح تفاصيل هذا الدور في كتابنا : « الفتح العثماني الأول لليمن » كما كتب مطهر الجرموزي مخطوطة خاصة به بعنوان : « الجوهرة المنيرة في جل من عيون السيرة في سيرة الامام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد » ، (عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، ص ٤٣٩) .

(٢) هو الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن الإمام المنصور القاسم بن محمد ، أدعى الامامة في الفترة من ١٠٥٤ هـ الى ١٠٨٧ هـ (٤٤/٤٥ ــ ٧٦/١٦٧٧م) بعد أن عارضه ابن أخيه مدة قصيرة . وكتب عنه مطهر الجرموزي مخطوطة كاملة بعنوان : تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار ، في سيرة الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد . (عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٤٣٩) . و يعدّ الامام اسماعيل من ألمع أبناء أسرة القاسم ، وفي عهده تم توحيد اليمن لأول مرة في تاريخ اليمن الحديث .

الوثيقة تنتمي إلى الشكل التقليدي، حروفها واضحة إلى حد ما بدون تنقيط مما أدى إلى صعوبة قراءتها وهذه الطريقة في الكتابة متبعة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي في اليمن. وأيضاً تحمل الوثيقة توقيعين لإمامين متتالين، فالتوقيع الأول للإمام المؤيد محمد بن القاسم، والتوقيع الثاني لأخية الامام المتوكل على الله اسماعيل .نلاحظ على الوثيقة انها توضح قوة الدولة القاسمية وكانت في ذلك الوقت تتهم الدولة العثمانيين خلالها بأنهم خرجوا على الاسلام والوثيقة تقريباً كلها تحث على التمسك بالتعاليم الدينية .وأيضاً تعريف الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وتعريف للإمام المتوكل على الله اسماعيل .

سالم ، مصطفى ، وثائق يمنية ، ص٤٤- ٤٥ ــ ٤٨ .

(صورة الوثيقة رقم ١)

الاوضاع السائدة في اليمن مع التعريف بعض الائمة . ملحق رقم (٣)

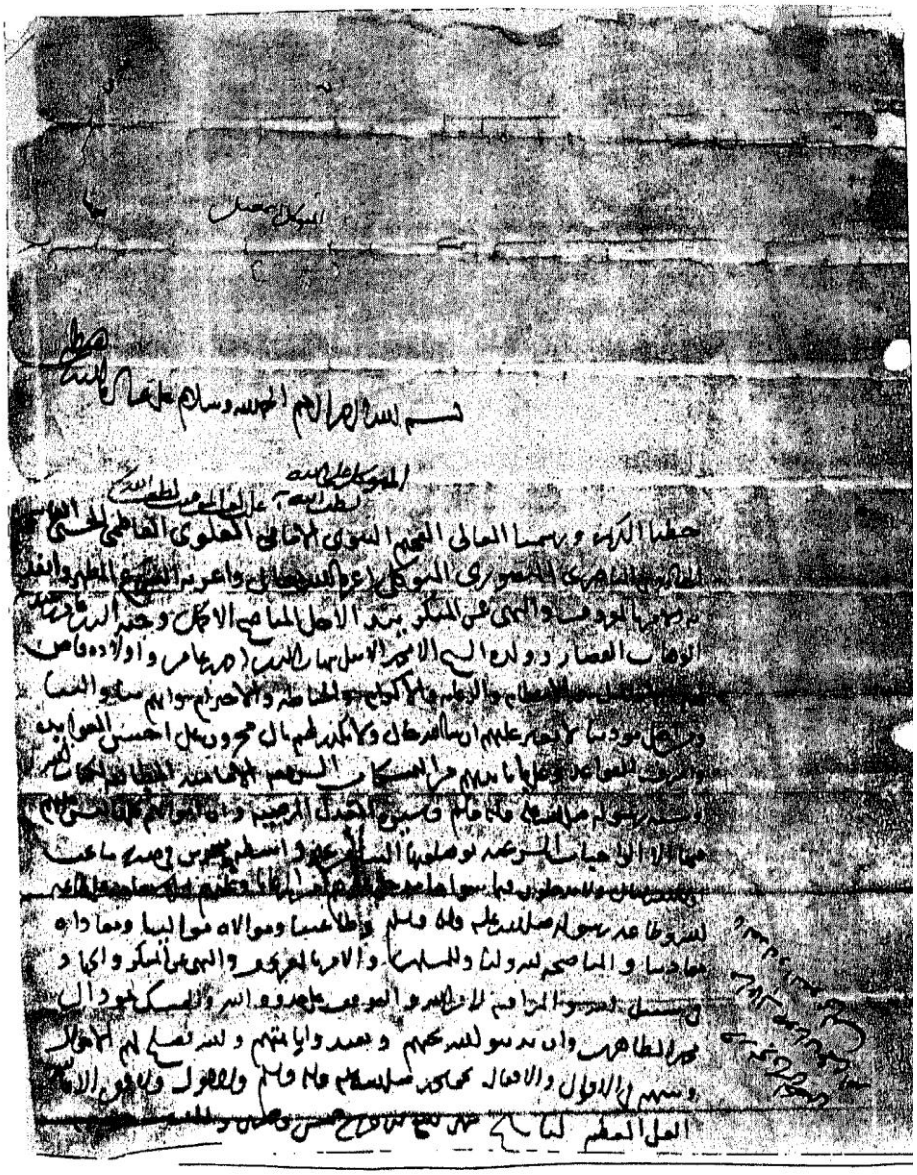

(صورة الوثيقة رقم ٣)

نص الوثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
المتوكل على الله لطف الله به علي بن أمير المؤمنين لطف الله به (١)

خطنا الكريم ، ورسمنا العالي الفخيم ، النبوي الامامي العلوي الفاطمي الحسني القاسمي الهـــادوي الناصري المنصوري المتوكلي أعزه الله تعالى (٢) ، وأعز به الشرع المطهر ، وأنفذ به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بيد الأجل المناصح الأكمل ، وجيه الدين « عامر بن عبد الوهاب القصار » (٣) ، وولده الشيخ الأمجد الأنيل شهاب الدين « أحمد بن عامر » وأولاده ، قاضي (قاضيا) لهم بالاجلال والإعظام ، والرعاية والإكرام ، والحياطة والإحترام ، وأنهم منّا والينا ، ومن أهل مودتنا ، لا يغير عليهم ان شاء الله حال ، ولا يكدر لهم بال ، مُجْرَوْن على أحسن العوايد ، وأشرف القواعد ، وعلى ما بأيديهم من التمسكات الشريفة الامامية (٤) المطابقة لكتاب الله ، وسنة رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة العدل المرضية . وأن أموالهم كلها ليس عليهم فيها الا الواجبات الشرعية (٥) يوصلونها الينا من غير واسطه (٦) ، متحرّين في هذا ما يجب أولا لله تعالى ، ولا يدخلون فيا سواها مدخل غيرهم من الرعايا (٧) وعليهم الاستقامة على طاعة الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطاعتنا ، وموالاة موالينا ، ومعاداة معادينا ، والمناصحة لله ولنا وللمسلمين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والمراقبة لأمر الله ، والتوقف على حدود الله ، والتمسك بود آل محمد الطاهرين ، وأن يَدِينُوا لله بحبهم ، و يَقْتَدوا بأئمتهم ، والله يصلح لهم الأحوال ، و يُثَبِّتهم في الأقوال والأفعال ، بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، لتاريخه شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وألف سنة (٨) ، حرر بمحروس الحُصَيْن (٩) من أعمال ضوران (١٠) عمّره الله بالعدل والتقوى ، لنا (آمين) (١١)

الهوامش :

(١) هو إبن الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد ، وقد جاء في ترجمته أنه كان : « الرئيس الكبير المستقل بغالب اليمن الأسفل . كان له إطلاع على العلوم الأدبية ... وكانت بينه و بين المهدى محمد بن أحمد صاحب المواهب منافسة على الملك والبلاد قبل أن يلى المهدى الخلافة (الامامة) واتفقت بينهما حروب وفتن كبيرة ، ومن سعادته أنه أدركه الأجل قبل أن يلى المهدى الخلافة فات في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان سنة ١٠٩٦ هـ (سبتمبر ١٦٨٥ م) بمدينة ابب وقبر بها (الشوكاني : البدر الطالع ، ج ١ ، ص : ٤٣٨ ــ ٤٣٩) . و يتضح من هذا السبب تأكيده في التوقيع على أنه : « ابن أمير المؤمنين » وأنه كان طموحا متطلعا إلى الحكم ، فضلا عن أنه كان صاحب الكلمة العليا في المناطق الجنوبية من اليمن في عهد أبيه المتوكل اسماعيل ، وهذا مادفع صاحب الوثيقة على الحصول على توقيعه الى جانب توقيع أبيه .

تشير هذه الوثيقة إلى شخصية هامة ، ومرحلة من مراحل تاريخ الإمامة في اليمن ، وتدل على قوة الدولة القاسمية في ذلك الوقت ، وانتصارهم على الدولة العثمانية ، توضح هذه الوثيقة الضرائب التي فرضها الامام على المناطق الجنوبية مثل ضريبة الدولة وضريبة الامام وحق العسكر أي يجب عليهم دفع مبالغ مالية للدولة بخلاف ما كان يدفعه اليمنيين للجهات الاخرى .

سالم ، مصطفى ، وثائق يمنية ، ص٥١- ٥٢ ــ ٥٣ .

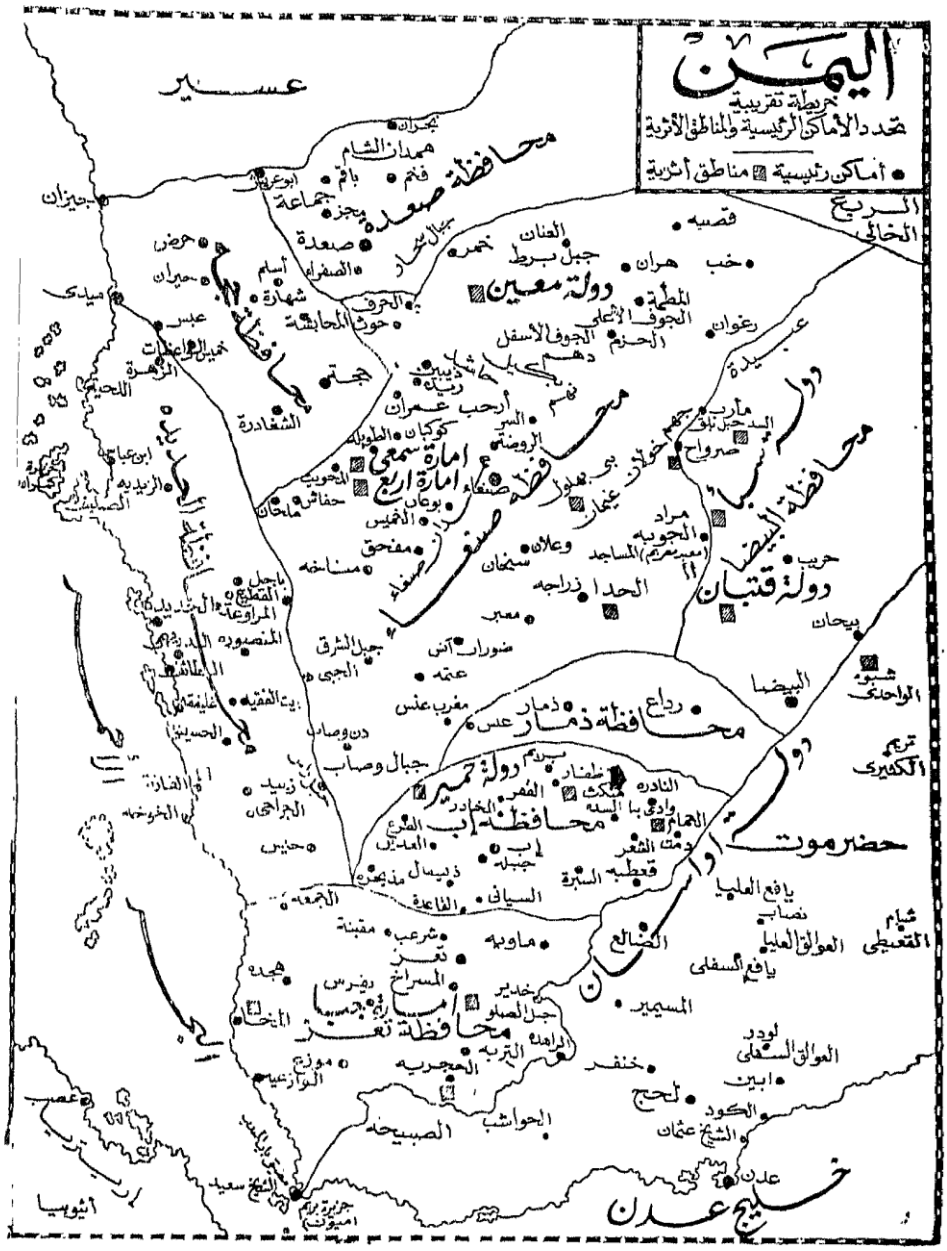

محمد يحي الحداد ، تاريخ اليمن السياسي ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٣ .

خريطة اليمن . ملحق رقم (٤)

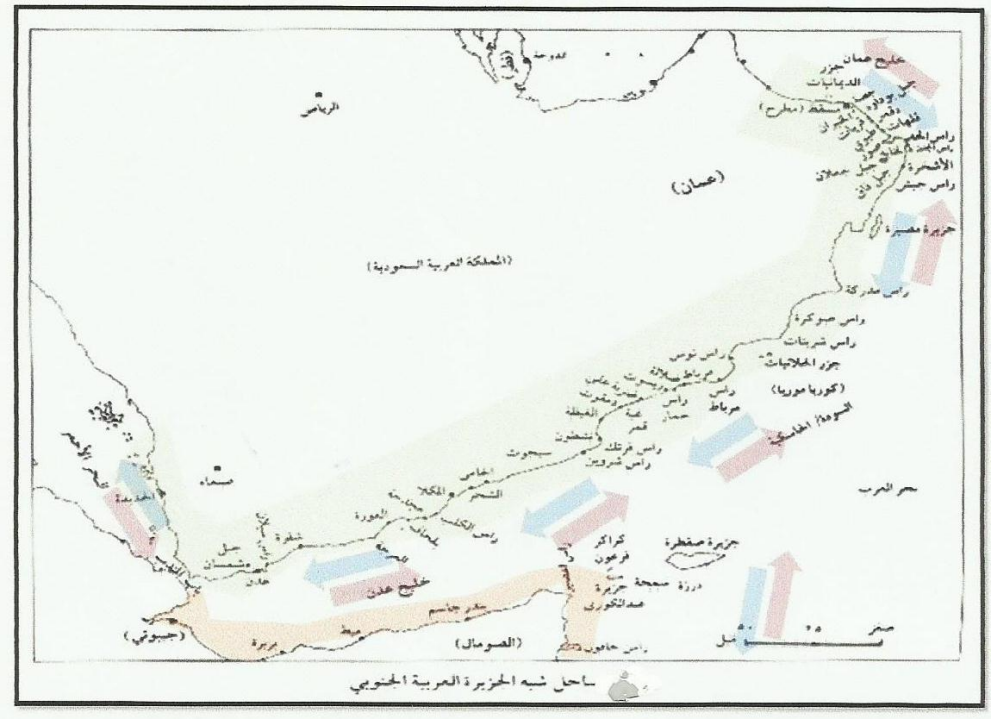

المصدر : https://www.google.com.sa/search?q=صور لخريطة عمان وموانئها في القرن السادس عشر الهجري

خريطة عمان والسواحل الجنوبية للجزيرة العربية

ملحق رقم (٥)